

المناعة الفكرية

في ضوء النظرية المعرفية

صاحب الشمري

المناعة الفكرية في ضوء النظرية المعرفية
دار الرسالة للطباعة والنشر
صاحب الشمري

دار الرسالة للطباعة والنشر
2020

المناعة الفكرية
في ضوء النظرية المعرفية

المناعة الفكرية

في ضوء النظرية المعرفية

صاحب الشمري

التدقيق من الناحية اللغوية
محمد حازم حمد
تدريسي في قسم اللغة العربية - كلية التربية / جامعة سامراء

الطبعة الأولى
1441 - 2020

دار الرسالة للطباعة والنشر
العراق / صلاح الدين -سامراء

المؤلف ومن هو في حكمه: صاحب أسعد الشمري.

عنوان الكتاب: المناعة الفكرية في ضوء النظرية المعرفية

الترقيم الدولي (ISBN): 978-9922-20-629-5

الموضوع الرئيسي: علم النفس التربوي / المنظومة العقلية / المناعة الفكرية / النظرية المعرفية.

توصيف الكتاب: 14,8 سم × 21 سم

عدد الصفحات: 107 صفحة

بيانات النشر: دار الرسالة للطباعة والنشر.

العراق – صلاح الدين – سامراء.



للطباعة والنشر والتوزيع

العراق - سامراء

E-mail: alaahsn5@gmail.com

@facebook: alresalah.samarra

هـ +9647702673885 - +9647709758923

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي

لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾

لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ

وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

سورة الأنعام / الآية 162

إهداء

إلى أبي وأمي، عرفاناً بالفضل والجميل.

إلى زوجتي واطفالي، سر السعادة.

إلى كل من علّمني حرفاً.

إلى كل من أثراني التعرف به.

أهدي هذا الكتاب

صاحب الشمري

المقدمة

يعيش العالم منذ مدّة ليست بقليلة في خضَّم تغيُّرات كبيرة متسارعة، كان من نتائجها وآثارها ظهور الكثير من العادات والأفكار، وزوال أو ضعف العديد من القيم التقليدية أمام التأثير القوي للقيم الحديثة التي أخذت في تغيير طبيعة حياة الأفراد والمجتمعات بشكل سريع جداً، وأثر كل ذلك في بناء شخصية الفرد، وطبيعة تفاعلاته مع الآخرين في النطاق الذي يحيى فيه.

ولأن الشباب سيكونون أشد المتأثرين بهذه التغيُّرات، كونهم يسعون للبحث عن الجديد، وأذهانهم متفتحة لكل فكر يسعى للتغيير، فإن التركيز سيكون عليهم بصورة كبيرة جداً، لذا ستوجه وسائل الإعلام؛ التقليدية والحديثة منها، أكثر جهدها لمحاولة التأثير على هذه الفئة، لذا ينبغي أن تكون الحصانة التي يمتعون بها، والمناعة الفكرية التي يقاومون بها هذه الهجمة، بمستوى عالٍ ومؤثر، لأن كل أمة مهما كانت قوتها حينما تبدأ قيم وعادات أمة أخرى بالتأثير فيها، تكون قد وضعت لنفسها أول خطوات الفناء، ذلك أن ثقافة أي أمة محدد أساسي لهويتها، والولاء لهذه الثقافة هو المُشكل لشخصية الأفراد، والذين ينسلخون من ثقافاتهم لا يتبقى لهم من الولاء سوى المكان، وحتى تغيير المكان قد يكون خطوة أخرى في هذا الطريق.

ولكون مجتمعنا أيضاً يمر بفترة عصيبة، قد تميل إلى التذبذب وعدم الاستقرار أكثر مما يمكن أن توصف بالثبات، ينبغي أن يتحصَّن الشباب بما يمكّنهم من أن يواجهوا كل تلك المتغيُّرات بصورة فعالة، ولكن ما نلمسه مع الأسف؛ أن التأثير تزداد سعته، والانحدار تزداد سرعته، والمقاومة ليست بالمستوى الذي ينبغي أن تكون عليه.

ولا يخفى على أحد دور المؤسسات الاجتماعية المختلفة كالأسرة والمدارس والجامعات والمؤسسات التربوية بصورة عامة، في مساعدة الشباب

على معرفة الدور الاجتماعي المنوط بهم حاضراً ومستقبلاً، وتحضيرهم لهذا الدور حتى يتمكنوا من أداءه بأعلى مستوى من الإيجابية والكفاءة، فعلى عاتقهم تقع مسؤولية مقاومة التيارات الفكرية التي تستهدفهم هُمْ بالدرجة الأولى، ومن ثم تستهدف المجتمعات التي يعيشون فيها، إذ إن الأساليب الممنهجة للغزو الفكري التي تعتمد على التشويه بعدِّها مرحلة أولى تضعف فيها علاقة الفرد بقيمه وعاداته وتقاليده على النواحي كافة، ومن ثم التشكيك كمرحلة ثانية تجعل الفرد متردداً في التصديق بما يطرح من أفكار داخل إطار ثقافته الفرعية والعامة، ومن ثم التذويب كمرحلة ثالثة تذوب فيها ملامح الشخصية الثقافية المميزة للمجتمع في شخصية تُغاير تماماً طبيعتها الأساسية، وتتعارض مع العقيدة والهوية والقيم، فالإحلال كخطوة أخيرة تُزرعُ فيها ثقافة جديدة توجِّه تفكير الشباب نحو الطريق الذي يخدم مصالح الطرف الغازي، كل هذه المراحل تتطلب من الجيل الحالي والأجيال اللاحقة أن يتمتعوا بمناعة فكرية فعالة تسهم في مواجهة كل ما يتعرضون له.

لذا أصبحت المناعة الفكرية متطلباً أساسياً ومهماً، وبدونه قد تضعف إمكانية الشباب على مقاومة ونقد الأفكار، وبالتالي ضعف القدرة على التحكم، ومن ثم الاستسلام لهذه الأفكار التي قد تكون سبباً في وقوعه بالعديد من الأخطاء والمشكلات، وهذه الأخطاء تعد الأشد خطراً على الفرد والمجتمع لما تؤدي إليه من نتائج كارثية على الفرد والمجتمع، لذا تعد المناعة تجاه هذا التأثير من الضرورات الملحة في الوقت الراهن.

"التنظير قبل النظرية"

هذا العنوان هو الفكرة الأساسية التي ينادي بها أستاذ علم الاجتماع في جامعة (Cornel) في الولايات المتحدة الأمريكية (Richard Swedberg)، وهي أيضاً جزء من تفسير ما سنضعه بين أيديكم في هذا الكتاب، وعملية التنظير هي فهم أولي في كيفية إعداد نظرية، وتركِّز على عناصر المفهوم أو المصطلح أو العملية، بدلاً من التركيز على الانطباعات حول شيء تم إنجازه وإكماله نهائياً في النظرية، كما أن التنظير هو الجزء الأساس في سياق الاكتشاف للشيء الجديد، بينما النظرية تنتمي إلى سياقات التبرير وليس الاكتشاف، وأهمية التنظير في أنه يعرض للمتلقي المفهوم أو الفكرة في مرحلة الاكتشاف، ويجعله في متناول أيديهم بصورة أمينة، كما يقود في خطواته إلى التوصل إلى حقائق واستنتاجات جديدة، وليس في الصورة التي تعرضها النظرية كسياق نهائي، وهذا يعني أنها تُتاح للمتلقي بعد اكتشافها وتحولها إلى نسخة قابلة للعرض على الجانب العلمي، مما يؤدي إلى عدم معرفته بالوسائل والاساليب التي تؤدي إلى اكتشاف هذه النظرية، وبعد ذلك فهذا العرض للنظرية، يبقى في إطار عملي بحت للمعرفة.

إن هذا الكتاب يحاول التنظير للمناعة الفكرية، وليس وضع نظرية نهائية لها فما يتم طرحه هنا قابل للنقاش والتعديل والإضافة، وليس قالباً ثابتاً، فبعض ما توصلت إليه الدراسات، وما ستتوصل له الأخرى في المستقبل قد يكون عاملاً حاسماً في وضع النظرية النهائية لهذا المفهوم، وكل هذا مهم ومطلوب، لأن التقدم في أي علم يرتبط دائماً بمدى استخدامه للقياس والوسائل الكمية في التعامل مع المتغيرات والمصطلحات التي يتعامل معها هذا العلم.

المناعة الفكرية (Intellectual Immunity)

هذا المفهوم الجديد

مما تجدر الإشارة إليه في معرض الكلام عن المناعة الفكرية، أن هذا المفهوم مفهوم جديد، لم يتم ذكره سابقاً فهو يختلف عن الحصانة الفكرية، بالرغم من أن كلا المصطلحين قد يُعّدان مصطلحاً واحداً، عند محاولة ترجمتهما إلى اللغة الإنجليزية، ويكمن الاختلاف في أن الحصانة الفكرية تمثل الزخم الفكري والثقافي الذي يمتلكه الفرد بالعلم والمعرفة والتثقيف، لحماية عقله من الآثار السلبية والفكرية الشاذة في المجتمع سواء عن طريق التلقي المباشر، أو وسائل التواصل، أو أصدقاء السوء، أو عن طريق التلقي غير المباشر، وهي أيضاً؛ مجموعة من السمات الشخصية والفكرية التي تجعل الفرد قادراً على تحمل التأثيرات الناتجة عن الضغوط والإنهاك النفسي، ودمج كافة الخبرات المكتسبة منها لاستعمالها في المواقف المشابهة.

كما يختلف مفهوم المناعة الفكرية، عن المناعة النفسية، فالأخيرة تُعد نظاماً وقائياً يعمل على تقوية الذات بحيث تساعد الفرد على التعامل والتفاعل مع الظروف البيئية (الضاغطة)، وهي بحسب رأي (Bona) تمثل قدرات وعوامل كامنة في شخصية الفرد، تساعده أثناء الحصول على المعرفة التي يستعملها في التعامل مع الظروف والمواقف التي تمتاز بالضغط وتهديد الشخصية، أما (Dubey & Shahi) فيؤكدان أن المناعة النفسية تمثل وعاءً يضم الآليات النفسية التي تعمل على حماية الفرد من المشاعر السلبية مثل القلق والضغوط النفسية والانهاك والتي ترتبط بالمواقف الضاغطة كالأزمات والاضطرابات النفسية.

وهذا المفهوم (المناعة النفسية) ظهر في أواخر التسعينيات من القرن الماضي وبدايات القرن الحالي، وأطلقت العديد من التسميات عليه مثل:

المناعة النفسية Psychological Immunity، المناعة العقلية Mental Immunity، المناعة الانفعالية Emotional Immunity، نظام المناعة السلوكية Behavioral Immunity System، وهي تختلف عن المناعة الفكرية Intellectual Immunity، إذ إن للمناعة النفسية أبعاداً مميزة هي:

- التفكير الايجابي: ويُقصد به الاعتقاد الذاتي بأن الأحداث سوف تسير على نحو إيجابي، وهو يسهل توقع النتائج الإيجابية من خلال التفاؤل والأمل.
- الشعور بالضبط والتحكم: ويُقصد به القدرة على تحويل الانفعالات السلبية المرتبطة بالفشل إلى سلوك بنّاء.
- الشعور بالتماسك والترابط: ويُقصد به التوافق والتناسق بين أهداف الفرد في الحياة وأفكاره وانفعالاته وسلوكه.
- الشعور بالنمو الشخصي: ويُقصد به الشعور باستمرارية الخبرة وترابط الانجاز الشخصي، بحيث يشعر الفرد بأنه ناضج ويعمل بكامل طاقته، مما يشجعه على مواجهة التجارب الجديدة.
- التوجه نحو التغيير والتحدي: ويُقصد به التوجه نحو التطور والانفتاح على كل ما هو جديد.
- المراقبة الاجتماعية: ويُقصد بها الدقة والانتقائية في اختيار واستعمال المعلومات والملاحظات عن البيئة المحيطة، وتتضمن الفهم المتعاطف مع اهتمامات الآخرين.
- التوجه نحو الهدف: ويُقصد به الاعتقاد بالقوة الذاتية في إنجاز الأهداف، والاختيار السليم للأنشطة المختلفة، ويتمتع الأفراد فيه بمستويات عالية من تحمل الإحباط.
- مفهوم الذات الابداعي: ويُقصد به الابتكارية والابداع في تطوير خطط وأفكار وبدائل مختلفة عن طريق إعادة بناء الحقائق والمعلومات.

- القدرة على حل المشكلات: يُقصد به القدرة على جمع الإمكانات اللازمة لإنجاز الواجبات وحل المشكلات حتى لو كانت صعبة مع القدرة على التعامل مع الإحباطات المختلفة.
- فعالية الذات: يُقصد به القدرة على احترام وتعزيز الذات واهتمام الفرد بصحته الروحية والجسمية لتحقيق الإنجازات والأهداف المختلفة.
- القدرة على التحرك الاجتماعي: يُقصد به القدرة التي تساعد الفرد على عمل بيئات للتواصل مع الآخرين، وكسب الصداقات، ومساندة الآخرين وتنشيطهم.
- القدرة على الابداع الاجتماعي: ويُقصد بها القدرة التي تساعد الفرد على تكوين وبناء فريق عمل متعاون وقيادته.
- ضبط الاندفاعية: ويُقصد بها القدرة على ضبط الدوافع والأفكار والسلوكيات، واختيار ما هو مناسب منها لطبيعة الموقف ونتائجه المتوقعة، وضعيفو المستوى في هذا الضبط يفقدون أعصابهم بسهولة، وغالباً ما يخلقون المشكلات لأنفسهم وللآخرين.
- الضبط الانفعالي: ويُقصد به القدرة على التحكم في انفعالات الفرد.
- ضبط حدة الطبع: ويُقصد به القدرة على الضبط المنطقي للمزاج والغضب واستخدامه بصورة إيجابية.

المناعة البيولوجية والمناعة الفكرية

جهاز المناعة العام، هو جهاز التمييز الذاتي، تمييز الشفرة الداخلية للكائن الحي، والتمييز بين ما يمثّل الفرد، ويسهم في نموه وتنميته، ولا يشكل ضرراً عليه، وبين كل ما هو عكس ذلك، لذا فهو الجهاز الذي يحدد هوية الكائن الحي، وتمييز هذه الهوية عن الفايروسات والجراثيم والميكروبات، حتى يتمكن الجسم (من خلال منظومة المناعة أيضاً) التعامل معها، فالجهاز المناعي يشارك في معالجة المعلومات، ويستلم هذا الدور لمدة أربع وعشرين ساعة في اليوم، لسبعة أيام في الأسبوع، وعلى مدار الوقت، ومن خلال عملية الإدراك التي تتم بعد التفاعل النشط مع البيئة، يقرر هذا الجهاز السماح لما هو غير مؤذي أو ضار، أو الرفض لكل ما من شأنه الحاق الأذى بالفرد أو أحد أعضاءه أو أجهزته، وهذه العملية تؤكد بما لا يقبل الشك، أن جهاز المناعة هو المعني بالهوية البيولوجية للفرد من حيث تأسيسها وصيانتها في مجالاتها الثلاثة: الفردية، المناعة أو الحصانة، وتحديد الهوية.

ويعد الجهاز المناعي البيولوجي للفرد عاملاً مهماً وأساسياً في بقاءه، وفي مقاومته للأمراض العضوية المختلفة، والقضاء على الفيروسات والميكروبات التي تسبب العدوى، ومن ثم التمتع بحياة صحية سوية بدنياً نوعاً ما، فالمناعة العضوية هي القوة التي يكون الجسم مزوداً بها أو يكتسبها الجسم ليقاوم الفيروسات والجراثيم ويتغلب عليها، وهي تعد كذلك الطرائق التي يتجاوب بها الجسم تجاه المركبات والعناصر الغريبة، في محاولة للتخلص منها، ومثلما يكون لدى الفرد جهاز للمناعة البيولوجية فلديه (من الناحية النظرية) جهاز للمناعة الفكرية أيضاً، جهازاً يوظف المقاومة الذاتية لديه، والتفكير المستقل، والثبات في الطبع كطريقة للتعامل، والنظرة البعيدة للأمور والأحداث، لينتج نظرية أو

فلسفة شخصية يكون دورها وقاية الفرد من الوقوع في الخطأ، أو التقليد الأعمى في التعامل مع المشكلات المختلفة التي يتعرض لها.

ومثلما يقوى جهاز المناعة البيولوجي بتعامل الفرد مع الجراثيم والفيروسات المختلفة، فإن جهاز المناعة الفكرية (Intellectual Immunity System) لدى الفرد يقوى بالتجارب والمواقف المختلفة التي يمر بها، وبالتعرض للمشكلات المختلفة في مناحي الحياة كافة، كما أن نقص المناعة الفكرية مثله مثل نقص المناعة البيولوجية سيؤدي بالفرد إلى سرعة التأثر بالفيروسات الفكرية والجراثيم النفسية المعدية، فيصبح هذا الفرد غير قادر على التفكير بشكل علمي سليم، أو على مقاومة الأفكار الوافدة إليه ونقدها، والتي قد يكون هدف البعض منها موجهاً أساساً نحو بناءه الشخصي، ونحو أسلوب تفكيره، أو نهج حياته، أو قيمه وعاداته وتقاليده، مما يؤدي إلى انهيار شامل في بعض الأحيان لبنيانه الشخصي.

ولأن المناعة البيولوجية لها نوعان أساسيان، أولهما: المناعة الفطرية التي تعد وظيفة يقوم بها الجهاز المناعي في اللحظات الأولى من تعرض الجسم للخطر، في محاولة لمنع تكوّن العوامل الخارجية، وثانيهما: المناعة المكتسبة التي يكتسبها الجسم نتيجة لتفاعل الجهاز المناعي مع عامل خارجي تمكن من تجاوز الدفاعات الأولية والسيطرة على بعض الأنسجة، فعلى هذا المنوال سيكون نظام المناعة الفكرية له أيضاً جانب أولي يتمثل في طريقة التفكير الذاتية، والسمات الشخصية التي يوظفها الفرد في مقاومة ما يراه مهدداً لكيانه الشخصي، ومزعزعاً لوحدته الذاتية، من ناحية المتغيرات التي يتعرض لها، كما سيكون الجانب الآخر للمناعة الفكرية مكتسباً، يتمثل بالقيم والأعراف والتقاليد، والعادات السلوكية المختلفة التي اكتسبها خلال رحلة حياته، والتي

تمكنه أيضاً من مقاومة التهديد، والقضاء على المهددات الفكرية للمحافظة على كيانه الذاتي.

والمناعة الفكرية (Intellectual Immunity) هي منظومة فرضية داخلية، تمثل مجموعة معقدة متفاعلة بصورة ديناميكية من الآليات المعرفية التي تحدد طريقة الفرد في التعامل مع المواقف، وتجعله يوظف المقاومة الذاتية لديه، وتفكيره المستقل، والثبات في طريقة التعامل، والنظرة البعيدة للأمور والأحداث، لينتج وجهة نظر أو فلسفة شخصية يكون دورها وقاية الفرد من الوقوع في الخطأ، أو حمايته من التقليد الأعمى في التعامل مع المشكلات المختلفة التي يتعرض لها، وتساعده في النهاية على منع الإصابة بالفايروسات الفكرية التي تهدد منظومته الفكرية والمعرفية.

العلاقة بين الجانب النفسي والمناعة البيولوجية

قد لا يخفى على أي فرد في الوقت الحالي، الارتباط الكبير بين الجانب النفسي والجانب البدني لدى الإنسان، ومدى التأثير الذي تحدثه بعض الفنيات والوسائل النفسية الحديثة، في العلاج البدني من الناحيتين الفسيولوجية والكيميائية، الأمر الذي أدى إلى التصريح بأنه قد لا يتمكن العلاج الكيميائي لوحده بعلاج المرض من دون تدخل العلاج النفسي، أو تداخل الجانب النفسي، إذ يشير (Steven Loche) الباحث في جامعة (Harvard) إلى أن الخلل والضعف في جهاز المناعة البيولوجية للفرد، لا يعود لشدة الأزمات والأمراض والضغوط، بل إلى طبيعة نظرتنا لهذه الأزمات، وتفسيرنا لها، وتقديرنا لمدى كفاءتنا في مواجهتها والتعامل معها، لأن جهاز المناعة لا يعمل بطريقة ردِّ الفعل الانعكاسي، بل يعمل بإشارات تصدر من الدماغ متأثرةً بالأفكار والميول والانفعالات.

وفيما يخص الجهاز المناعي، فقد كان الكلام في تأثيرات التدخلات المعرفية السلوكية وفنيات مثل: التنويم الإيحائي، التمارين الرياضية الخاصة بالتنفس، تحسس الذات، التخلص من بعض الضغوط، وتعزيز الكفاءة الذاتية المدركة، وكيف أنتجت تغييرات إيجابية في المناعة البيولوجية للأفراد كلاماً سائداً وموثقاً في الأوساط العلمية منذ تسعينيات القرن الماضي، لكن ما لم يكن متضحاً في تلك الفترة، هو هل أن ذلك سيؤدي إلى تغيير في الإصابة بالأمراض المعدية من حيث شدتها أو مدتها الزمنية؟ أو تغيّر طبيعة المقاومة بحد ذاتها؟.

وقد أجريت العديد من الدراسات التي أشارت إلى أن الضغوط النفسية للاختبارات الجامعية أدت إلى انخفاض المناعة لدى الطلبة، كما أجريت دراسات أخرى لاستخدام التنويم الايحائي في تقليل الأثر، أو التخلص من الحساسية تجاه بعض المواد التي كانت تستثير الحساسية لدى الأفراد، كما

توصلت دراسات أخرى إلى أن تقنيات الاسترخاء والاختلاط والمساندة الاجتماعية كانت ذات أثر كبير في زيادة عدد الخلايا القاتلة الطبيعية.

وأوضحت دراسات أخرى أن الإيجابية في التصرف، والتفاؤل في التفكير والتوقع، كانت أيضاً من العوامل المساعدة في رفع كفاءة الجهاز المناعي للفرد، كما أشارت دراسات أخرى إلى أن اجترار الذكريات السلبية يؤدي إلى ضعف في جهاز المناعة وزيادة في وقت التعافي فوق المتوسط الطبيعي بكثير، كما وضحت دراسات أخرى إلى أهمية تنظيم العاطفة بشقيها (إعادة التقييم المعرفي، القمع التعبيري) في قوة وفعالية الجهاز المناعي البيولوجي لدى الفرد، ففي حين تُعد عملية إعادة التقييم المعرفي ضمن عمليات التكيف مع المواقف العاطفية التي يمر بها، يُشار إلى عملية القمع التعبيري بوصفها عملية غير تكيفية، وقد ارتبطت العمليتان المذكورتان بزيادة كفاءة الجهاز المناعي في حالة زيادة الاعتماد على العملية الأولى، أو التقليل من استخدام العملية الثانية.

في حين أشارت دراسات أخرى إلى أبعد من ذلك، عندما تكلمت عن أهمية طبيعة العلاقات الإنسانية التي يقيمها الفرد مع الآخرين، ونوعية البيئة الاجتماعية، وجودة التفاعل مع الآخرين، ومدى استمراريته، كلها تسهم في رفع مناعة الفرد البيولوجية إذا ما كانت علاقات ايجابية، في بيئة ودودة، تحقق تفاعلاً مستمراً على مستوىً جيد من الناحية العاطفية.

وكذلك فإن نظام المناعة السلوكي (الذي يُعد جزءاً من المناعة البيولوجية) نظام حساس جداً للإشارات والمثيرات الإدراكية، قد يتحسس أو يدرك أن مسببات الأمراض قد تكون موجودة، فيستثير استجابات تكيفية نفسية، قد يكون من ضمنها استثارة أنواع محددة من الانفعالات العاطفية، وتفعيل بعض المخططات المعرفية، أو استدعائها وجعلها ضمن الذاكرة العاملة

آنياً، وهذه الإجراءات من شأنها أن تؤدي إلى كفِّ الفعل أو التجنب السلوكي للموقف الذي يُعتقد أنه من مسببات الأمراض.

ويتطور جهاز المناعة السلوكي لتقليل احتمالية مواجهة المواقف التي يعدها (قاتلة أو مُمرِضة محتملة) فهو يتحسس لكل الأحداث والمنبهات التي تشبه ظاهرياً المظاهر الخارجية والأعراض الفعلية للعدوى والمرض، لذا فلن يكون السلوك هنا سلوكاً اجتماعياً مجرداً، إذ ستتدخل فيه ما تسمى بـ (حساب الكلفة مقابل الفائدة) المتوقعة من التفاعل الاجتماعي مما قد يؤدي إلى تثبيط التفاعل الاجتماعي مقابل تجنب الضرر، أو تقليله، أو بسبب أن المنفعة العائدة منه قليلة مقارنةً بالتكلفة، وهذا الأمر نلمسه جميعاً حالياً في ظل انتشار فايروس كورونا المستجد (Covid 19) الذي أدى بالناس إلى تجنب أشكال التفاعل والتواصل الاجتماعي وجهاً لوجه كافة، وذلك من أجل عدم الاصابة بهذا المرض الذي يشكل خطراً حقيقياً على الفرد والمجتمع، فالفائدة من التواصل والتفاعل، وحتى الذهاب إلى الدراسة والعمل، أقل بكثير من التكلفة أو الضرر المتوقع عملياً.

كل ما سبق يؤكد أن الأفراد عندما ينظرون إلى عالمهم، لا يكون الأمر بطريقة الفعل ورد الفعل المباشر، بل أن هناك وسط تنتقل من خلاله الإشارات الواردة والصادرة، وفي هذا الوسط يوجد التفكير، وتقييم العواطف، والتوقع، وتحديد القيمة والأهمية، وحساب الكلفة والفائدة؛ المعنوية والمادية والبدنية، وغيرها من العمليات التي تجري داخل الفرد، والتي من الممكن أن تولّد تصوراً ثابتاً أو تشكل صورة دائمية عن طبيعة العالم الذي يعيش فيه، هذه الصورة تسهم في تغيير الفكرة الأساسية عن الذات الداخلية، أو عن المحيط الخارجي، وهما عاملان أساسيان، بل وربما لا يوجد سواهما في مواجهة المواقف الحياتية (من الناحية النفسية والناحية البيولوجية).

وفي هذا (وليس هذا فقط) تتضح فاعلية المناعة الفكرية في زيادة قابلية الأفراد على مقاومة الأفكار الوافدة، وتشكيل ذات فريدة متميزة قادرة على التفاعل؛ مع الاحتفاظ بالتميز، والتأثر؛ مع السيطرة على زمام الأمور، وإذا كان تقوية جهاز مناعة بيولوجي بوسائل نفسية ممكناً ومثبتاً، فإن ذلك يعطينا أملاً كبيراً بأن الجهاز الفكري للمناعة قابل للتعديل والتطوير بالاتجاه الصحيح المرغوب فيه من قبل الفرد نفسه، أو من قبل المجتمعات ومؤسساتها التربوية والإدارية المختلفة، ذلك إنه مثلما أن الأفكار تغيِّر المعنى، فإنَّ الجهاز المناعي الفكري سيتم تعديله وتغييره من خلال ضبط هذه الأفكار وجعلها في بعض الأمور شبيهة باللقاحات الفكرية، حتى نتمكن شيئاً فشيئاً من تطوير أفكار مضادة لها، وإذا ما حققنا ذلك؛ سنسهم أيضاً في تحسين الفرد حتى من الناحية الصحية، من خلال التأثير الإيجابي الذي سيتركه تحسن المنظومة الفكرية على نظام المناعة البيولوجية.

أبعاد المناعة الفكرية

تتكون المناعة الفكرية من أربعة أبعاد، وهي لا تعمل منفردة، بل تعمل سوياً كنظام متكامل، وعند القول أنه نظام، فلا يعني ذلك أيضاً أن طبيعة عمله تسلسلية في كل مرة، أو أنه يعتمد على خطوات ثابتة في استعمال مكوناته، فقد يتم البدء بالمقاومة في عملية المواجهة، ثم ينتقل بعدها إلى التنظير الذاتي لوضع خطة التصدي، والاستعانة بطريقة مميزة للتعامل، ويتم التعامل وينتهي الأمر، وقد تبدأ منظومة المناعة الفكرية عملها بالتفكير المستقل، ومحاولة النظر في الدلالات البعيدة المدى للأمر، ثم استخدام التنظير الذاتي، وبعد ذلك مقاومة الفكرة أو الموضوع والتصدي له، وقد يبدأ بُعد، لينتقل بعدها حسب ما يقتضيه الموقف إلى البُعد المناسب الآخر، وهكذا، والأبعاد الأربع للمناعة الفكرية هي:9543155

البعد الأول: التفكير المستقل

وهو التفكير بصورة مستقلة عن الآخرين وبطريقة تبتعد على أسلوب تفكير الأفراد الآخرين في المشكلة المطروحة أو المواقف التي يمر بها، ومحاولة فعل الأمور بطريقة غير تقليدية، أو فعل ما عجز عنه أو تجاهله الآخرون، وأكثر الدول تقدماً من الناحية العلمية والتكنولوجية، ونظمها التعليمية قد تكون غير موفقة إلى حد كبير في مساعدة الأفراد على تنمية التفكير المستقل، ويكون دورها قاصراً على التلقين، وهو ما أدى إلى نشوء أجيال من المتلقين السلبيين في كثير من الأحيان، ويؤكد (Howard Gardner) في كتابه (The Unschooled Mind) أنه حتى الطلاب الجامعيين الذين يفترض أن يكونوا مؤهلين، وعلى مستوىً عالٍ من الناحية العلمية، إلا أنهم لا يفهمون حقاً ما تعلموه، وحتى إذا كان بإمكانهم إظهار التفكير المستقل في حل المشكلات المتعلقة بالمنهج

الدراسي، إلا أنهم يفشلون في التفكير المستقل في الكثير من المسائل المتعلقة بالحياة الواقعية للأفراد.

والتفكير المستقل مثل الذكاء الفردي الذي يرتبط حسب (Piaget) بقدرة الفرد على التكيف مع بيئته، وعلى الوصول إلى الظروف المُثلى التي تمكنه من التعامل السليم معها، وهو بهذا يُعد خاصية ديناميكية متغيرة بحسب تغيُّرات البيئة ومتطلبات الموقف، من أجل أن يكون سليماً وناجحاً في التعامل مع الموقف، حسب طبيعة هذا الموقف، وأهميته، ونتائجه المتوقعة.

وهذا البُعد (التفكير المستقل) يحتاج إلى الاهتمام بصورة كبيرة، حتى نحقق له نشأة صحيحة، ونمواً سليماً، فالدراسات العلمية تشير إلى أن الأفراد يسعون بصورة كبيرة للدفاع عن وجهات نظرهم، وأفكارهم، وآرائهم التي يعدونها مؤكدة، وهذا سيسهم في تقوية نظام المناعة الفكرية بصورة كبيرة.

البعد الثاني: النظرة البعيدة للأمور

وهي التمعن في الآثار بعيدة المدى وما وراء الأحداث، والتأني في الحكم على الأمور، والقدرة على توقعها، أو إدراك ما ستؤول إليه، والنظرة البعيدة للأمور تضمن لنا تحقيق سلوك مستقر أكثر من الاندفاع والاستعجال في السلوك، كما أنها تسهم في إحداث خطوات مهمة في نطاق نمو الشخصية، كذلك لها أهمية كبيرة في تحسين عملية اتخاذ القرار تجاه المواقف والأفكار، فالقرار الذي قد يكون سليماً تماماً دون النظر إلى نتائجه بعيدة المدى، قد يكون خاطئاً تماماً أو بنسبة كبيرة، إذا ما أُخِذَ بالحسبان نتائجه على المدى البعيد.

ونحتاج أحياناً إلى جهد كبير حتى نستطيع ممارسة وتطبيق النظرة البعيدة للأمور، ومن ثم التمكن منها، والوصول إلى مستوىً عالٍ فيها، ذلك أنها تخالف الطبيعة البشرية التي تحاول دائماً اتخاذ اسرع قرار، والوصول إلى أسرع

نتيجة، واتخاذ أقصر الوسائل والطرق لحل المشكلات، ولكثرة ما اعتدنا على الاستعجال، أصبح التأني أمراً قد نواجه فيه بعض الصعوبات، ولا يتم دون بذلٍ وتعب، فأغلب الأعمال المنتجة تحتاج نظرة بعيدة المدى، وحتى من الناحية الاقتصادية فالمشاريع التي يتم حساب جدواها الاقتصادية على مدى زمني طويل تدرُّ عوائد أكبر بكثير من المشاريع التي تعتمد على نظرة قصيرة المدى، بل لربما كانت النظرة بعيدة المدى سبباً في تجنب كارثة واستبدالها بنجاح كبير، مثلما حصل مع إحدى الشركات التي تعمل في ميدان الطاقة الكهربائية التي قررت التحوّل من نوع إلى آخر من الأخشاب في صناعة العواميد، وبالرغم من الخسائر التي تعرضت لها في البداية، إلا أنها تمكنت من استعادة عافيتها والسيطرة على المجال، خصوصاً بعد أن تبيَّن صحة قرارها نتيجة لتعفن العواميد المصنوعة من النوع الأول من الخشب.

وبصراحة، يبدو تأثير عدم وجود نظرة بعيدة المدى في التفكير والتعامل واضحاً وجلياً في أغلب مفاصل مجتمعنا اليوم، فالمشكلة التي تواجهنا في الميدان المالي، نسارع للاقتراض حتى نعالجها، غير مبالين بقدرتنا على سداد هذا القرض على المدى القريب، ومتناسين أضراره على المدى البعيد، والتي وصلت إلى تدمير البيوت وخرابها، بل وحتى حالات القتل وإزهاق الحياة، والمشكلة التي تواجهنا في المجال الصحي، نسعى لحلها من خلال البحث عن العلاج الذي يخلّصنا بأسرع وقت من آثار المرض، بغض النظر عن تداعيات هذا العلاج الذي وصل في بعض الأحيان إلى الموت، وفي المشكلة الفكرية التي تواجهنا، نحاول استعمال أسرع وأول طريقة تتبادر لأذهاننا في التعامل معها، حتى نتخلص من ضغط هذه المشكلة (خلل التوازن)، لذا نحتاج وبشدة هيكلة طريقتنا في التعامل مع المتغيرات المختلفة، إلى طريقة تضمن التعامل معها على وفق الأولويات، والآثار المترتبة عليها آنياً ومستقبلياً.

البعد الثالث: التنظير الذاتي

ويتمثل بوجود فلسفة ذاتية* للفرد استخلصها من تجاربه الذاتية، تتضمن طريقته التي يراها فردية، غير متأثرة بالآخرين، وتمتاز بكونها ثابتة نسبياً، في التعامل مع أحداث الحياة ومواقفها، وتعينه على تمييز الفروق الدقيقة بين المواقف والأفكار التي يتعرض لها، والتغيّرات التي تتعرض لها، وبما يمهِّد له طريقة مميزة وفردية في التعامل معها، طريقة تكون من صفاتها الجرأة الفكرية، والأسلوب المنطقي – العملي، والمناقشة والحوار السليم.

البعد الرابع: المقاومة

وهي قدرة الفرد على التميز بين الأفكار المختلفة، وعدم تقبل الأفكار التي تتضمن تأثيرات سلبية أو الأفكار الجديدة التي لم تخضع بعد لتمحيص أو اختبار، وعدم التأثر بما يضرُّ القناعات الراسخة لدى الفرد بالمفاهيم والقيم والعادات وغيرها، وعدم التأثر بمركز أو وضع أو حالة مرسل الفكرة.

وفي المقاومة تبدو بصورة واضحة ممارسة الفرد للقدرات الذاتية، وكذلك امتلاكه الحس النقدي للمعلومات والأفكار التي يتعامل معها، فلا يقوم بتقبُّل كل الأفكار، ولا يتأثر بكل وجهات النظر أو الآراء، بل يحاول مقاومتها ومحاولة تعديلها أو تحويرها، حتى تصبح قابلة للاندماج ضمن منظومته المعرفية.

---

*ينبغي التأكيد هنا على أن المقصود هو فلسفة ذاتية للفرد، وليست (الفلسفة الذاتية) ضمن المفاهيم والنظريات الفلسفية، ذلك أن (الفلسفة الذاتية) خاصةً في بداية ظهورها، كان مضمونها الأساس هو أن المعرفة ذاتية، وليست حقيقة موضوعية خارجة عن ذات الإنسان، وهو يختلف عن فكرة التنظير الذاتي في المناعة الفكرية، والتي قد تقترب نوعاً ما من مفهوم (الفلسفة الذاتية) الأحدث.

أهمية المناعة الفكرية

العالم اليوم، ليس عالم الأمس، فالثورة التكنولوجية، والتقدم في ميدان الاتصال، وسيطرة وسائل الإعلام الجديد، والتعلق بوسائل التواصل الاجتماعي، وقد أدى هذا إلى تغيُّرات كبيرة، وتأثيرات جمة، والتي وبالرغم من إيجابياتها، إلا أنها لا تخلو من السلبيات الكثيرة، فقد كان من سلبيات وسائل الاعلام الجديد ووسائل التواصل (بعدِّها واحدة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية ذات التأثير الكبير) تشكيل الإطار المرجعي للفرد بشكل مغاير للإطار المرجعي للأسرة والجماعة، مما ينعكس على السلوكيات الممارسة في المجتمع سواء من قبل الصغار أو حتى من قبل الكبار الذين يناط بهم تنشئة الأطفال، إذ إن المعلومات المتدفقة التي تبثها شبكات الإعلام الدولية، والتي غالباً ما تسيطر عليها القيم الغربية، لا تتناسب مع تقاليدنا وقيمنا الشرقية الأصيلة.

ولا ننسى أن ثقافة الشباب (وهم أكثر فئة مستهدفة) في عصرنا الحالي ليست مقنعة وجادة وقادرة على الحوار والمناظرة ومتابعة المستجدات، وقاصرة عن أداء دورها، لأن هذه الأجيال تمر بأزمة في الثقافة والفكر والثقة، مع انخفاض واضح في المستوى الفكري والثقافي والعلمي لدى أغلب الشباب.

إن الخلل الفكري سيعقبه بالتأكيد خلل في السلوك، فالمنطق يفترض أننا في تفاعلنا مع المجتمع الذي نعيش فيه نعتمد على المنبهات والإشارات والمعطيات، ففي حالة وجود خلل في المعطيات (مقصود ومخطط له أو عفوي) فإنه سيؤدي إلى خطأ في القرار الذي نتخذه أثناء هذا التفاعل، وبعد ذلك سينسحب الأمر إلى حدوث خلل في السلوك ككل.

وقد شخَّصَ الشباب تأثرهم بالتقنية الحديثة، ووسائل الاتصال والإعلام الجديد ففي دراسة للمؤلف عام 2017* أوضح الشباب إن التأثيرات الأخلاقية هي التأثيرات الأبرز لوسائل الإعلام الجديد، تليها التأثيرات الأسرية، ثم التأثيرات الثقافية ومن ثم التأثيرات الاجتماعية، كما بيَّنوا أنهم غير متأكدين من كون ما يبث وينشر عبر وسائل الإعلام الجديد سليم من الناحية العلمية، بينما اعتقدوا أنه سليم من الناحية الأخلاقية، وأنه كلما زادت ساعات استخدامهم لوسائل الإعلام الجديد كلما أصبحوا متأثرين بها أكثر، ومؤمنين بصدقها بصورة اكبر.

ومن ضمن ما يؤكد أهمية المناعة الفكرية أنها تسهم في تعزيز الاختيار الشخصي، وتساعد الأفراد على النمو الذاتي بصورة إيجابية بعيدة عن التأثيرات الممنهجة التي تستهدفهم، وهي أيضاً تزودهم بالمرونة والتوافق مع الأحداث والمواقف والأفكار المرتبطة بها من خلال أساليب التوافق والتأقلم المناسبة للفرد وطبيعته، والموقف ومتطلباته، والتي في محصلتها النهائية تضمن عدم وقوع الفرد فريسة للأفكار والمعلومات الدخيلة (أي بالعكس تماماً من ما يفترض بجهاز المناعة الفكرية تحقيقه).

كما أن المناعة الفكرية لها وظيفة المساعدة على تمييز الأفكار الصحيحة من الأفكار الخاطئة، والأفكار السليمة والنافعة، من الأفكار التي لا تعود بالجدوى على الفرد أو حتى المجتمع الذي يحيا فيه، عن طريق تفعيل نظام المراقبة على طبيعة جهاز المناعة الفكرية نفسه، وعلى طبيعة الأفكار والمعلومات المستدخلة، واتخاذ الاجراءات المناسبة.

وتسهم المناعة الفكرية كذلك في تنمية التفكير وتطويره لغرض مساعدة الفرد على التعامل السليم مع المتغيرات والتصرف السليم في المواقف

* تأثيرات وسائل الإعلام الجديد على الشباب الجامعي، مجلة الجامع للدراسات النفسية والعلوم التربوية، العدد 5 ج2، 104-122.

المختلفة، إذ تبرز أهميتها عندما نفكر في سرعة وطبيعة التغييرات التي تحدث في جميع مناحي الحياة، هذه السرعة التي قد لا توازيها سرعة اجراءاتنا في التكيف مع هذه التغيُّرات، والمناعة الفكرية لها أهمية عظيمة هنا، ليس لمجرد الوقاية، أو ليس لتسهيل التعامل فقط، بل من أجل اكتساب المهارة في التعامل مع المتغيرات.

كما تبرز أهميتها إذا ما فكَّرنا بالذي سيحصل لو فُقدت المناعة الفكرية، إذ سيؤدي ذلك إلى تقبّل الأفكار والمعلومات دون تفكير وتمحيص، نتيجة ضعف السيطرة الفردية على المستدخلات، واستمرار حصول ذلك وتكراره قد يؤدي إلى الشعور بالعجز والفشل، ومن ثم عدم التعامل بصورة صحيحة، وهذا يؤدي إلى حدوث خلل في المعايير الخاصة بالحكم على الاشياء، وربما سيؤدي الخلل في جهاز المناعة الفكرية إلى اتخاذ ردَّ فعل سلبي يتمثل في محاولة تجنب كافة أشكال التفاعل والتواصل، وعدم الاختلاط، والانطواء على الذات، أو حتى الجمود الفكري.

المناعة الفكرية في ضوء النظرية المعرفية

إن من أبرز أساسيات النظرية المعرفية هي أن البُنية المعرفية للفرد مركب منظم كلياً بصورة ذاتية، وله القدرة على التعديل والتحوير، لذا سيكون متغيّراً من شكل لآخر، لكنه يبقى محكوماً بمكوناته، لأنه كلٌ موحدٌ مبني على العلاقات بين الأجزاء، ويعطي (Piaget) الأهمية الأكبر في الجانب المعرفي لدور عملية التوازن المعرفي، ويَعُدها الأساس للنمو العقلي المعرفي للفرد من خلال عمليتي التمثيل أو الاستيعاب (Assimilation) والتكيف أو الموائمة (Accommodation)، فالأولى هي طريقة الفرد في الاستجابة للمتغيرات البيئية على وفق البناء المعرفي لديه، وهي تعتمد على نوعية البُنى المعرفية لديه، ونوع التفاعل بينها وبين البيئة المحيطة بالفرد في موقف ما، أما العملية الثانية فتؤدي إلى تعديل البُنى المعرفية للفرد في سبيل الاستجابة للبيئة، وعملية الموائمة أو التكيف هي التي تحدث النمو والتقدم للفرد، لأن كل خبرة جديدة لها خصائص لا تتشابه مع ما سبق تعلمه، وتُحدث تغييرات جزئية بسيطة أو معقدة في البُنى المعرفية له، لذا ستكون هي العامل الأساس في النمو العقلي أو الفكري.

إن زيادة البُنى المعرفية من حيث العدد يسهم في نمو عدد العلاقات التي ستنشأ بين المفاهيم والقواعد والحقائق التي ترتبط بجانب معرفي ما، مما يمكّن الفرد من انتقاء الأساليب المتميزة التي تساعده على التفاعل بكفاءة مع الموقف الجديد أو المعلومة الجيدة، أما نوعية هذه البُنى فتتمثل بالخواص التنظيمية للمحتوى المعرفي في تفاعله مع عدد هذه البُنى، فعددها لوحده لا يشير إلى أنها سيتم استعمالها بكفاءة وفاعلية في التعامل مع المواقف الجديدة، بل يتدخل فيها عوامل أخرى مثل الترابط المعرفي (قوة ترابط المعلومة المستدخلة مع المعارف السابقة)، والترميز الانتقائي (اختيار المعلومات المناسبة للموقف أو

الفكرة)، بما يسهم في تحقيق التكامل المعرفي الذي يُعد ارتباطاً متكاملاً بين عناصر معرفية معينة، يؤدي إلى تشكيل مجموعات مركبة، تكوِّن أي واحدة منها كُلاًّ متكاملاً يكون فعَّالاً بصورة كبيرة جداً في المنظومة المعرفية.

وعندما نقول ذلك فلا بُدَّ أن نؤكد أن البنية المعرفية (Schema) نسق متكامل، لكنه ليس مجرد تجميع لعناصر وخواص، بل هو نسقٌ يحوي تغيرُّات تتضمن قوانين تحفظ البُنية المعرفية وتُثريها بواسطة التفاعلات التي تتم داخلها، لأنها متميزة بالتكامل، قابلة للتحويل والتغيّر، يتدخل فيها الجانب الذاتي بصورة واضحة.

وللنظرية المعرفية أهمية كبيرة جداً، ودور مهم في علم النفس الحالي، وهي عملية جداً لأنها استفادت من النظريات الأخرى وتأثرت بها، فقد أخذت من النظرية الوظيفية تأكيدها على العمليات العقلية، ومن نظرية الجشتالت تركيز الاهتمام على الفهم والإدراك في حل المشكلات، ومن النظرية الإنسانية تغيير النظرة نحو الإنسان من السلبية إلى الإيجابية.

والنظرية المعرفية كما تم ذكره تؤكد بصورة كبيرة على إيجابية الكائن الحي، وهي ترى أن التعلم والنمو يتم من خلال بناء جديد يتشكل من عناصر جديدة، أو بصياغة جديدة، ويركّز (Piaget) على أن الفرد يولد وهو مجهز ببعض الأبنية المعرفية التي تتغير نتيجة للنمو البيولوجي والتفاعل المستمر مع متغيرات البيئة، حتى يتكيف الفرد معها، والبنية المعرفية على وفق رأيه، مفهوم أساسي في النمو المعرفي، ينمو ويتشكل بصورة هرمية تراكمية، هذه الصورة تسمح للفرد بعبور المراحل النمائية الأربع (المرحلة الحس حركية، مرحلة ما قبل العمليات الإجرائية، مرحلة التفكير الملموس، مرحلة التفكير المجرد)، وتعد عملية التمثيل المعرفي (والتي من خلالها نضع فكرة أو علامة أو مجموعة من الرموز التي تمثل شيئاً من العالم الخارجي، أو حتى عالمنا الداخلي) صاحبة

الدور الأبرز بالنسبة للمنظومة المعرفية للفرد، فمن خلالها نتمكن من أن نرمِّز ذاتياً كل ما يحيط بنا، وحتى ترميز الأشياء غير الملموسة أو المتخيلة، وفي الوقت الحالي؛ يتم التركيز في دراسة النماذج العقلية بصورة أكبر على فهم كيفية البناء والتعديل والتغيير، والتعرف إلى أنواع العمليات التي تحدد استخدام النماذج العقلية، وكذلك آليات التمثيل في ذهن الفرد.

وكل فرد هو كيان مستقل نوعاً ما، وتوجد ذاتياً حدود واضحة لهذا الاستقلال، وهو يتصرف بحرية وثبات وبصورة آمنة داخل هذه الحدود، غير أن هذا الأمر لا يشكل جوهر المناعة الفكرية، ولا التصور الحقيقي لها ولنموها وتطورها وآليات عملها، فعلى الرغم من أن التفكير المستقل والتنظير الذاتي قد يكونان دلالة على الاكتفاء الذاتي، إلا أن المناعة الفكرية تعمل على نطاق أوسع من ذلك، إذ إنها تكون الوسيط الفعال والمؤثر في عملية التفاعل مع البيئة، وهنا ينبغي أن يكون دورها في التعامل مع المتغيرات المختلفة متوازناً متعادلاً، فلا يمكن أن تكون متسامحةً تماماً، ولا صارمة تماماً، بل ينبغي أن تعمل بمرونة عالية، وبتفاعل ديناميكي مستمر (ذلك يعني أن الحدود ليست قالباً فولاذياً ثابتاً غير قابل للنفاذ)، كما أنها ستعمل على مواجهة الأفكار والمعلومات التي سيسهم بعضها في تقوية الفردية بعد التحديد الذاتي للهوية، وتحديد الهوية لهذه الأفكار والمعلومات، فما كان منها سليماً متطابقاً قابلاً للتمثيل سيتم إدماجه في المنظومة المعرفية مباشرة، وما كان منها قابلاً للموائمة مع الذات والمنظومة المعرفية، سيتم السماح له بالنفاذ، حتى تتعلم الذات منه كيفية التعامل وصنع الأفكار المضادة* لها، أما الأفكار والمعلومات التي يتم تشخيصها خلال مرحلة

---

*مثلما يطلق جهاز المناعة البيولوجي أجساماً مضادة تجاه الفايروسات والجراثيم والميكروبات، فإن جهاز المناعة الفكري لديه نفس الأجسام المضادة على هيئة أفكار مضادة ومعلومات مقاومة، من شأنها أن تغيّر طريقة التعامل مع ما يواجه الفرد من معلومات وأفكار جديدة.

تحديد الهوية بأنها غير متطابقة، وغير قابلة للتمثيل والموائمة، فسيتم إطلاق الأفكار المضادة نحوها مباشرةً لدحضها، أو طردها، حتى يتم التأكد من عدم تأثيرها، وقد يدخل في هذه النقطة أيضاً، الأفكار والمعلومات التي كان يعتقد بأنها قابلة للتمثيل والموائمة، ولكن خلال محاولات البحث عن سبل الموائمة تم التوصل إلى أنها أفكار سامة أو مؤذية، ويتم الاستفادة هنا من الأفكار المضادة التي تم صياغتها خلال التعامل معها، فهي تضمن التوصل إلى أفضل نتيجة خلال أقل مدة ممكنة.

هذه العملية تغيِّر مفهوم الشخصية الإنسانية وتعدِّله باستمرار، فمن الاستقبال شبه التام للمعلومات والأفكار، مروراً بالاكتفاء الذاتي (والذي يكون غير واقعي في كثير من الموضوعات) إلى الاستجابات الدفاعية المهاجمة لأغلب الأفكار والمدخلات، ومن بعدها تكوين المناعة الفكرية القوية، والتي يكون لها دور كبير نمو الشخصية بصورة تكون مختلفة تماماً عن الآخرين، الذين طوَّروا منهم جهاز مناعة فكرية، أو لم يكن بمقدورهم بناء وتطوير هذا النوع من المناعة، فعلى الرغم من الجهد الكبير المبذول في هذه العمليات، إلا أنها لا غنى عنها، فالكثير من المعارف والمعلومات، لا يمكن الوصول إليها من دون الاستمرار في التعرض لها في سياقات ومجالات مختلفة ومتعددة، من أجل تعديل أو انشاء المخططات العقلية التي تسمح بالتعامل السليم معها.

ويبقى للمناعة الفكرية دور آخر مميز، هو تنظيم المنظومة الفكرية المتكاملة للشخصية، فهي وسيلة للتنظيم والدفاع، أكثر مما هي وسيلة للدفاع فقط، إذ إن طابع الاستجابة المناعية الفكرية في الأساس هو المساهمة في النمو المعرفي، فخلال عمليات هذا الجهاز: المقاومة، معرفة وتفسير المدخلات، ومن ثم ترميزها، تتحدد المعالم الأساسية للنظام الذاتي الفردي في المناعة

الفكرية، وبهذا أيضاً نستطيع القول أن المناعة الفكرية لا تقتصر على حماية الفرد بل تمتد إلى تحديد الهوية الذاتية للفرد.

الآليات العملية
لمنظومة المناعة الفكرية

في حياتنا اليومية بمختلف ضروبها، نسعى دوماً للتوازن، والحالة التي توصف بالتوازن هي الحالة التي تكون فيها أفكارنا ومعتقداتنا، واتجاهاتنا في حالة من التآلف والانسجام، وتعمل مع بعضها بتناغم، من دون أن يكون هناك تضاد أو تعارض قد يولّد ضغطاً يعيق مقاومة التأثيرات الخارجية، والفرد منطقياً يسعى للبقاء في حالة من التوازن أو الاتساق المعرفي، فهو يحتفظ بالبُنى المعرفية الخاصة به، ويستخدمها بصورة مباشرة في مواجهة متطلبات البيئة التي تحيط به من الناحية المعرفية والاجتماعية والنفسية وتحقيق الإشباع، وكل هذا يتم من خلال عملية التمثيل، التي تمثِّل المرحلة الأولى للعلاقة بين البُنى المعرفية للفرد والبيئة.

هذه العملية لوحدها غير كافية إطلاقاً، وقد لا تؤدي إلى تحقيق التوازن الحقيقي، بل قد تكون سبباً رئيساً في عدم التوازن في حالة الاعتقاد أو التوقع بعدم كفايتها، أو عدم كفايتها فعلاً، (فالظروف والمواقف والأحداث والنتائج المرتبطة بها، كلما كانت مفاجئة، كلما استثارت رد فعل قوي، أو قوي جداً، مقارنةً بها إذا ما كنت متوقعة، أو حتى جاءت في سياق طبيعي من العمل والتحليل والانشغال بها، مما يؤدي إلى استنتاجات معينة، ترفع درجة توقعها، أو تقلل من حدة مفاجأتها)، وكذلك في حالة ارتفاع القيمة التي يضعها الفرد للموضوع أو المعلومة أو التفاعل، وهذا يفعِّل عملية تحفيز مهمة لدى الفرد، يكون دورها الأساسي إعادة التوازن أو الاتساق المعرفي، مما يتطلب تدخل العملية الثانية (الموائمة).

وعملية الموائمة لها علاقة بنظرية التنافر المعرفي (ونظرية التنافر المعرفي ترتبط بنظرية التوازن أو الاتساق المعرفي)، التي ترى أن الفرد يمر بحالة

عدم التوزان المعرفي عندما يتعرض لمعلومات جديدة داخل مواقف معينة، وهذه المعلومات أو الأفكار قد تكون متناسقة (وهي غير فعالة في هذه النظرية)، أو أنها قد تكون متعارضة، أو غير مترابطة، كل هذا يؤدي إلى التوتر بنسبة تختلف باختلاف الفرد، يضاف إليه قيمة التوتر الناتجة من قضية أخرى، فالفكرتان المتعارضتان قد تكون إحداهما صحيحة والأخرى خاطئة أو ليست صحيحة تماماً – من وجهة نظر الفرد- وكذلك بالنسبة للفكرتين المتسقتين، أو حتى غير المرتبطتين، وهذه النظرية أيضاً ترتكز في تفسيرها لشدة التناقض أو عدم التوازن بقضيتين تقتربان من التوقع والقيمة، فهي تفسره على وفق نسبة الإدراك للتناقض (هل يتم إدراك التناقض بصورة كبيرة أم بصورة بسيطة؟، وهذا يقترب من التوقع وعدم التوقع)، وأهمية هذا الإدراك (هل هو أن المدرك مهم جداً للفرد أم مهم أم قليل الأهمية؟، وهذا يقترب من القيمة.

وتتدخل عملية الموائمة لأن البُنى المعرفية لا بُدَّ لها أن تتغيَّر حتى تَّلائم الخبرات والأفكار الجديدة وخصائصها، من أجل إعادة التوازن، ومن خلالها يصبح ما هو غير مألوف للفرد، مألوفاً له، لكن الأساليب المتبعة في هذه العملية تخضع لتأثير عامل الجهد النفسي، فلما كانت عملية التنافر المعرفي أو الاضطراب لدى الفرد تؤدي إلى شعوره بالضغط والتوتر النفسي، فهو يسعى للتخلص من هذا الاضطراب بأقل جهد نفسي ممكن، إذ إنه كلما كان الجهد النفسي في الطريقة المتبعة كبيراً، كلما قل اعتمادها واستخدامها في عملية الحصول على التوازن المعرفي، وذلك لأنه قد يكون مسبباً لمزيد من التوتر واختلال التوازن، الذي يؤثر مرةً أخرى على طريقة التعامل.

وفي عملية الموائمة ينبغي أن نركز على أن منطقية هذه العملية تتطلب زيادة في (الاستدخال) من الخبرات الخارجية، لذا ينبغي تفعيل آليات المناعة الفكرية هنا بالتحديد بصورة أكبر من المرحلة الأولى، وهذا الكلام لا يعني أن

المناعة الفكرية غير مهمة في مرحلة التمثيل للأفكار والمعلومات، بل يُقصد به الانتباه للجانب الفردي حتى لا يتم موائمة أفكار أو تكييفها وهي مضرة للمنظومة الفكرية للفرد.

بناء وتعزيز المناعة الفكرية

من أجل أن يقوم الفرد ببناء وتعزيز جهاز المناعة الفكرية، ينبغي عليه أن يقوم بالعديد من الأمور أبرزها:

- التعوّد على أساليب التفكير السليمة التي تكوّن جوهر المناعة الفكرية، مثل التفكير الناقد، والتفكير المتشعب، والتفكير خارج الصندوق، وهذه كلها لها إجراءات عملية يمكن اتباعها لتحقيق أفضل نمو وتطوّر فيها.
- عدم الاستعجال في الحكم على المواقف والأحداث، والتأني في هذا الأمر بحيث يعتمد الفرد على التفكير بصورة معمقة بما وراء الأحداث والظواهر، ونتائجها المتوقعة على المدى المتوسط والبعيد، ولا يستند فقط على النتائج المباشرة للأحداث.
- الابتعاد عن التقليد قدر الإمكان، وخاصةً التقليد الأعمى، لأن له من النتائج الوخيمة الشيء الكثير على الفرد، وسيجعله منقاداً للآخرين وطريقة تفكيرهم أو حتى توجهاتهم بصورة كبيرة.
- عدم اتباع الميول والأهواء في عملية اتخاذ القرارات المختلفة التي تهم الفرد، أو التي تؤثر بمجريات حياته، ومحاولة قياسها بالوقائع والأحداث، والأسباب والنتائج، والكلفة والفائدة.
- التمسك بالآراء الشخصية النافعة في القضايا والمواقف التي سبق للفرد المرور بها وتجربتها.
- عدم التأثر بكل ما يصدر عن الشخصيات المشهورة على كافة الأصعدة، وعدم التسليم بمصداقية كل ما يقولون، لأن ما يصدر عنهم قد يكون مبرمجاً ومُعداً له، مع أخذ كل وجهات النظر بعين الاعتبار.

- استخدام التوقع الإيجابي المنطقي القائم على التحليل العلمي الموضوعي السليم للمواقف والأحداث، وليس التوقع السلبي القائم على التشاؤم المفرط أو التفاؤل اللامنطقي أو التحليل السطحي.
- محاولة تجربة الحلول الجديدة للمشكلات المختلفة، الحلول التي تنبع من تعامل منطقي وتحليل سليم لتلك المشكلات.
- استخلاص الحِكَم والاستنتاجات من مختلف التجارب التي يمر بها الفرد خلال مراحل حياته، ومحاولة الاستفادة منها في المواقف الحالية والمستقبلية.
- التعوّد على الحيادية أثناء التعامل مع الأفراد والمواقف، حتى لا يصاب الفرد بالحساسية الفكرية القائمة على الانطباعات المسبقة تجاه المواقف والظواهر أو الأفراد.

الفردية المتميزة

أمام الأطر المرجعية

على وفق ما ذكر من أن المناعة هي علم التمييز الذاتي، وبتأكيد القول بأن جهاز المناعة الفكرية عامل أساس في تحقيق الفردية، ومع الأخذ بالحسبان أن البُنى المعرفية تتأثر بالسياقات الاجتماعية، هل تتشابه المناعة الفكرية بين الأفراد والمجتمعات؟ وهل من يتمتع بالمناعة الفكرية في ثقافة ما يكون بنفس طبيعة الفرد المتمتع بالمناعة الفكرية في ثقافة أخرى؟

من المسلّم به في التراث النفسي، أن السلوك الإنساني سلوك فردي– اجتماعي، وفي النظرية المعرفية البنائية توجِّه أساسي يرى أن كل الأفراد يبنون أو يكوِّنون لأنفسهم فكرة فريدة عن العالم، فكرة ذات معنى استقاها من الإحساس بالمحيط، والقدرة على تفسيره بصورة صحيحة تنسجم مع ما يوافق عليه هذا المحيط، وما يَعُدّه سليماً، وقد كان (Piaget) من أوائل العلماء الذين نادوا إلى أن الأطفال لديهم مفهومهم الخاص عن المعرفة، وهي تختلف عما موجود لدى الكبار، لأنها متغيرة ومتطورة على مَرّ السنين، بسبب نظام المعالجة الذي يتطور ويصبح أكثر تعقيداً بمرور الوقت (نتيجة لمروره بالمراحل النمائية الأربع التي حددها، والتغيّرات التي تحدث خلالها)، لذا يكون الدور الأكبر في نمو الفرد معرفياً هو لعملياته العقلية الفردية.

في الوقت نفسه الذي تؤكد فيه النظرية المعرفية على الدور الذاتي، والتأكيد الذي كانت وضعته بأنَّ كل المعرفة شخصية ومتميزة، مبنية وليست مستوعبة بشكل سلبي، إلا أنها رأت أيضاً أن كل المعرفة مبنية اجتماعياً، وأنه من أجل تحقيق التطور والنمو يتم استعمال عمليات التمثيل والموائمة والتوازن، وحتى يكون هذا النمو والتطور فعالاً وممتازاً تتم مراجعة المخططات (Schemes) بصورة مستمرة ومنتظمة باستخدام نفس العمليات: التمثيل

والموائمة والتوازن، لذا لا يمكن إطلاقاً لفردين أن يكونا على نفس المستوى من التهيؤ لموقف معين.

إن ما سبق يؤكد أنه من المستبعد أن يكون هناك تطابق في المناعة الفكرية بين أي فردين، كما أنه بالإضافة إلى ما ذكر تتدخل عوامل أخرى في هذا الأمر منها:

- المكانة المعرفية للفرد، فالفرد الذي حَظِيَّ بمستوىً عالٍ من التعليم، يفترض أن يكون قادراً على التمكن من العمليات المعرفية أكثر من الشخص الذي يكون نصيبه أقل من التعليم.
- الخبرات السابقة التي مَرَّ بها الفرد، فالمظهر الخارجي لشخصيته سيكون نتيجة لعدد الاستجابات التي مارسها في الماضي، والطريقة الذاتية في مواجهة الأفكار الواردة، وإن كان الأمر بعد ذلك لا يعتمد على الهوية الذاتية فحسب، بل على طبيعة ظهور الأفكار، ومدى تأثيرها في النظام الفردي الذاتي في المواجهة، فما كان منها مؤثراً بصورة كبيرة على النظام، ويشكل صدمة قاسية له، ستكون عمليات مقاومته أقوى وأشرس من الأفكار التي لا تشكل كل ذلك التهديد.
- مستوى الفرد في عمليات التمثيل والموائمة (مبتدأ، ممارس جيد، ماهر ومبدع)، إذ إن الدراسات العلمية التي أجراها (Snyder 2000) و (William 2006) أكدت وجود اختلاف وفرق واضح ودال، بين المبتدئين والمتميزين والخبراء في عملية تنظيم المعارف والأفكار المكونة للبُنى المعرفية، وكانت أبرز ملامح هذا الفرق أن المبتدئين يعتمدون على الخصائص السطحية للمعلومة أو الفكرة دون اعطاء الإطار المفاهيمي أهميته المطلوبة، بينما يركِّز الخبراء على التنظيم المتدرج، والانتقال

السليم بين المفاهيم الأساسية للمعلومة أو الفكرة وكل ما يتعلق بها كالتعريفات والإجراءات والمعادلات وغيرها.

- سهولة الدمج في البُنية المعرفية، وهذا الأمر يتعلق بالنقطة التي سبقته، وهو تحديداً يتعلق بمسامية ونفاذية جهاز المناعة الفكرية، فيما إذا كان متسامحاً وحدوده (مرنة) وهذا بالنسبة للفرد، أو حتى مدى قابلية المعلومة للتمثيل والموائمة، أو التكيف وهذا بالنسبة لطبيعة الأفكار المستدخلة.
- الفروق الفردية في السمات الشخصية، كتقبل الإيحاء، التأثر الشديد بالآخرين، الشعور بالانبساط والانطواء، فقد أشار (Schaller & Murray) بعد دراسة للعديد من الشعوب، أن البيئة المرضية ترتبط في كثير من الأحيان بنقص في الشعور بالانبساط، لذا سنفترض في المناعة الفكرية أن الأشخاص الذين يميلون للانطواء سيكونون أكثر تأثراً بالفايروسات الفكرية (بالتأكيد عدا الأشخاص الذين يختارون العزلة كسبيل لتطوير قدراتهم، أو إعادة بناء معارفهم ومعلوماتهم، أي الذين تكون عزلتهم لغرض الآخرين، وليس للابتعاد عن الآخرين).
- كمية الاختلاط والعزلة التي يضع الفرد نفسه فيها (بعيداً عن الانطواء) وإنما من خلال تحديد نسبة التفاعل، مما ينتج عنه تقليل الأفكار المستدخلة، وبالتالي انخفاض مستوى الخبرة، ومن ثم انخفاض مستوى الفرد في عمليات التمثيل والموائمة.
- مستوى النضج الفكري والمعرفي الذي وصل إليه الفرد، لأنه سيؤثر في طريقة تعامله مع المواقف والأحداث المختلفة.
- كمية الطاقة النفسية التي يحددها الفرد للتعامل مع المتغيرات البيئية (الفكرية والمعرفية) المختلفة.

- طبيعة المجتمع أو البيئة المحيطة بالفرد (داخل الأسرة، شلة الأقران، المؤسسة التعليمية، وسائل الإعلام) ومدى تذبذب الأفكار المطروحة فيها، أو مدى شيوع ثقافة التعبير عن الذات فيه، ومستواه الديمقراطي الذي يسمح بظهور الأفكار الفردية، أو يضايقها، أو يمنعها ويحاربها، ودرجة التهديدات الظرفية المحتمل أن يتعرض لها الفرد، ومدى وضوحها، لما لها من أثر كبير في التهيؤ للعمليات التكيفية، وفي كمية عمليات الانخراط في التفاعلات الاجتماعية والفكرية والمعرفية.
- أنواع المدخلات (المعلومات أو الأفكار) ومدى ما تشكله من تهديد محتمل، أو قيمة متوقعة بالنسبة للفرد، فالشعور البسيط بالتهديد قد لا يستدعي آليات مناعة فكرية قوية، ولا يطلق أجسام فكرية مضادة قوية، أما التهديد القوي، فسيفعّل جهاز المناعة الفكرية بأكمله، وبأقصى قوته للمواجهة، والقيمة البسيطة أو انعدام القيمة للمدخلات، لا تضطر الفرد للتفكير فيها بصورة متشعبة ومعقدة، على العكس مما يحصل عند وجود قيمة عالية وأهمية بالغة لهذه المدخلات.
- مدى الوضوح بالنسبة للمدخلات، فعندما تكون المدخلات واضحة المعالم، سيكون الرد عليها متناسباً معها، سواء بالرفض أو السماح، لكن غموض المدخلات يستهلك جزءاً من الطاقة الفكرية في محاولة فك شفرتها، ومعرفة حقيقتها، مما يؤثر على وقت ردّ الفعل، أو حتى على طبيعة الفعل، هذا إذا ما حاول الفرد اتخاذ موقف مناسب، أما البعض الذين سيقومون باتخاذ الفعل أو ردّ الفعل مباشرةً، فإن هذا التصرف سيكون غير مناسباً إطلاقاً.
- طبيعة الشحن العاطفي في فترة زمنية معينة، أو موقف معين، ففي خلال الفترات التي يكون الفرد فيها منفعلاً، يشعر بالضعف، فإن هذا الأمر

أيضاً يجعل منظومة المناعة الفكرية هشة نوعاً ما، لذا فإنه يلجأ للتواصل مع الأفراد المألوفين بالنسبة له فقط، ويتجنب البعيدين أو غير المألوفين، لأن جهاز المناعة الفكرية لا يكون دوره المقاومة والدفاع بعد التعرض أو الإصابة فقط، بل قد يكون لديها في كثير من الأحيان وظيفة استباقية (وقائية–تجنبية) من خلال الابتعاد عن ما نتوقعه غير ملائم وبإمكاننا تجنبه والابتعاد عنه، وهذا الأمر يمكن أن يقلل من خطر انتقال الفايروسات الفكرية، كما قد يؤدي إلى زيادة كفاءة منظومة المناعة الفكرية، ففي ميدان المناعة البيولوجية، كشفت الدراسات الاجتماعية فيه عن جهاز المناعة السلوكي عن استجابتين رئيستين من أجل تنشيطه هما: تجنب الأهداف غير المألوفة وزيادة النفور منها، وتعزيز التمسك بالمألوف والأهداف الجماعية، وهذا يكون كردّ فعل وقائي لاستدخال معلومات أو أفكار بعيدة أو مختلفة عن منظومته الفكرية بصورة كبيرة، لكن الاضطرار للتفاعل مع البيئة قد يجعله يفشل في السيطرة بما يخص التجنب، لذا سيكون قابلاً لاستدخال أفكار أو معلومات قد لا يرغب فعلاً في تمثّلها، بسبب قلة المناعة في مقاومتها، لذا يصدّق الفرد في وقت القلق والحروب والأزمات الكثير من المعلومات، ويغير الكثير من أفكاره وتصوراته، من دون أن تكون هذه المعلومات حقيقية (كالشائعات مثلاً)، أو تكون هذه الأفكار منطقية وسليمة تماماً (كالتصديق بنظرية المؤامرة).

مقياس المناعة الفكرية

على وفق مقولة (Thorndike) كل ما يوجد؛ يوجد بمقدار، وكل مقدار يمكن قياسه، لذا ومن أجل قياس المناعة الفكرية لابُدَّ من وجود مقياس لهذا الموضوع، والمناعة الفكرية يتكون مقياسها من (43) فقرةً، ويتم تقدير الدرجات فيه على منح الدرجات (3، 2، 1) على التوالي للبدائل (تنطبق عليَّ دائماً، لا رأي لي، لا تنطبق عليَّ إطلاقاً)، فيما يخص الفقرات الإيجابية، والدرجات (1، 2، 3) للفقرات السلبية، وتتم مقارنة الدرجات بالمتوسط الفرضي لكل بُعد، أو المتوسط الفرضي للمقياس بالنسبة للدرجة الكلية، وسيتم ادراج الفقرات بالنسبة لكل بُعد، علماً أن تسلسلها عشوائي ضمن الترتيب النهائي لفقرات المقياس، وليست مرتبة وفقاً لهذا الترتيب.

وهذا المقياس له صدق ظاهري جيد، ومعاملات ثبات جيدة في التطبيق العملي له، وقد تمت إجراءات بناءه عام 2019 في الدراسة الموسومة (المناعة الفكرية وعلاقتها ببعض الذكاءات المتعددة وعادات العقل المنتجة لدى طلبة الجامعة).

البُعد الأول: التفكير المستقل.

ت	الفقــرات	تنطبق عليَّ دائماً	لا رأي لي	لا تنطبق عليَّ إطلاقاً
1	أفكر بطريقتي الخاصة دون التأثر بأفكار خارجية.	3	2	1
2	أحاول أن أفعل الأمور التي لم يفعلها أحد.	3	2	1
3	أسعى لفعل ما فعله الآخرون بطريقة مختلفة عن طريقتهم.	3	2	1
4	أعتقد أن الفصل بين المواقف يفيد في الحكم على الآخرين واتخاذ القرار المناسب.	3	2	1
5	لديَّ وجهة نظر خاصة نوعاً ما تجاه الأشياء.	3	2	1
6	أتعامل مع الآخرين بمعزل عن أي تأثير من طرف آخر.	3	2	1
7	أحصل على أحكامي من واقعي وقدراتي.	3	2	1
8	عندما أواجه مشكلة ما استخدم طريقتي نفسها مع بعض مستلزمات الموقف الجديد.	3	2	1

ت	الفقــرات	تنطبق عليَّ دائماً	لا رأي لي	لا تنطبق عليَّ إطلاقاً
9	استراتيجيتي في التعامل مع الأمور ثابتة نوعاً ما.	3	2	1
10	أتأثر بسرعة بطريقة تفكير الآخرين حولي.	1	2	3
11	تستهويني بعض المقولات والعبارات دون تفكير عميق فيها.	1	2	3
12	لا يوجد ما يسمى أسلوب أو استراتيجية في التعامل مع المواقف والأحداث.	1	2	3
13	أحب أن أفكر مع الآخرين.	1	2	3

البُعد الثاني: النظرة البعيدة للأمور

ت	الفقــرات	تنطبق عليَّ دائماً	لا رأي لي	لا تنطبق عليَّ إطلاقاً
1	عندما أفكر بموضوع ما، أحاول استنتاج آثاره البعيدة المدى.	3	2	1
2	لا أتعجل الحكم على الأحداث بل أعطي كل حدث ما يستحقه من وقت.	3	2	1
3	أحاول أن أضغط على نفسي في التفكير بما وراء الأحداث.	3	2	1
4	أدرك ما يمكن أن تتجه له الأمور والأحداث.	3	2	1
5	لديَّ القدرة على توقع حدوث الأشياء والأمور.	3	2	1
6	أحكم على الأمور بسرعة.	1	2	3
7	لا أتعب نفسي في التفكير بما وراء الأحداث.	1	2	3
8	أصدر الأحكام بناءً على ظاهر الأمور.	1	2	3
9	لا أعتقد بوجود مضمون معين وراء كل حدث.	1	2	3
10	القرار الذي أتخذه اليوم لا يتخلف عن القرار الذي سأتخذه في المستقبل.	1	2	3

البُعد الثالث: التنظير الذاتي

ت	الفقــرات	تنطبق عليَّ دائماً	لا رأي لي	لا تنطبق عليَّ إطلاقاً
1	أتوصل للحكم على الأمور من خلال فلسفتي الخاصة.	3	2	1
2	لديَّ فلسفة ذاتية معينة ألتزم بها.	3	2	1
3	استخلص من تجاربي وخبراتي مبادئ وقواعد معينة ألتزم بها.	3	2	1
4	أحاول معرفة كل وجهات النظر قبل إصدار حكم ما.	3	2	1
5	أبذل ما لديَّ من إمكانات عند تفكيري بأمر أو عمل ما.	3	2	1
6	غالباً ما يقلد الآخرون طريقتي في التفكير والتعامل مع الأحداث.	3	2	1
7	لا يوجد ضرورة لبناء فلسفة ذاتية للفرد.	1	2	3
8	اتباع وتقليد فلسفة شائعة أفضل من بناء فلسفة خاصة.	1	2	3

البُعد الرابع: المقاومة

ت	الفقــرات	تنطبق عليَّ دائماً	لا رأي لي	لا تنطبق عليَّ إطلاقاً
1	أرى أنني أتمتع بقدرة على نقد الأفكار المختلفة.	3	2	1
2	لا أتقبل كل الأفكار التي تطرح لحل مشكلة ما.	3	2	1
3	لا يستطيع أي شخص تغيير قناعاتي الراسخة بالأشياء.	3	2	1
4	أعتقد أنه لا يوجد فكر أفضل من فكر آخر.	3	2	1
5	مظهر الآخرين ووضعهم الاجتماعي والمادي لا يؤثر في حكمي تجاههم.	3	2	1
6	لا أحب أن يتحكم أحد في طريقة تفكيري.	3	2	1
7	أصر على رأييَّ حتى يتوصل الآخرون لرأي أفضل منه من وجهة نظري.	3	2	1
8	لا اتأثر كثيراً بالإيحاءات والإغراءات المختلفة.	1	2	3
9	اتقبل الأفكار الجديدة بسهولة دون نقد.	1	2	3

ت	الفقــرات	تنطبق عليَّ دائماً	لا رأي لي	لا تنطبق عليَّ إطلاقاً
10	عبارات ومقولات المشهورين كلها سليمة تماماً.	1	2	3
11	أتأثر بسهولة بأفكار الآخرين.	1	2	3

المناعة الفكرية وعلاقتها بالذكاء العاطفي
والتماسك النفسي لدى الشباب الجامعي

أولاً: مقدمة الدراسة وأهميتها النظرية والتطبيقية

المناعة الفكرية متطلب أساسي ومهم، وبدونه قد تضعف إمكانية الشباب على مقاومة ونقد الأفكار، وبالتالي ضعف القدرة على التحكم، ومن ثم الاستسلام لهذه الأفكار التي قد تكون سبباً في وقوعه بالعديد من الأخطاء والمشكلات، وهذه الأخطاء تعد الأشد خطراً على الفرد والمجتمع لما تؤدي إليه من نتائج كارثية على الفرد والمجتمع، لذا تعد المناعة تجاه هذا التأثير من الضرورات الملحة ذات الأهمية القصوى في الوقت الراهن (المهداوي والدليمي، 2015: 217 – 241).

ولأن المناعة البيولوجية لها نوعان أساسيين، أولهما: المناعة الفطرية التي تعد وظيفة يقوم بها الجهاز المناعي في اللحظات الأولى من تعرض الجسم للخطر، في محاولة لمنع تكوّن العوامل الخارجية، وثانيهما: المناعة المكتسبة التي يكتسبها الجسم نتيجة لتفاعل الجهاز المناعي مع عامل خارجي تمكن من تجاوز الدفاعات الأولية والسيطرة على بعض الأنسجة (عروة، 1997: 5)، فعلى هذا المنوال سيكون نظام المناعة الفكرية له أيضاً جانب أولي يتمثل في طريقة التفكير الذاتية، والسمات الشخصية التي يوظفها الفرد في مقاومة ما يراه مهدداً لكيانه الشخصي، ومزعزعاً لوحدته الذاتية، من ناحية المتغيرات التي يتعرض لها، كما سيكون الجانب الآخر للمناعة الفكرية مكتسباً، يتمثل بالقيم والأعراف والتقاليد، والعادات السلوكية المختلفة التي اكتسبها أثناء رحلة حياته، والتي تمكنه أيضاً من مقاومة التهديد، والقضاء على المهددات الفكرية للمحافظة على كيانه الذاتي.

وتتضمن المناعة الفكرية حسب تقسيم الباحث الأبعاد الآتية:

البعد الأول: التفكير المستقل

ويعرِّفه الباحث بأنه التفكير بصورة مستقلة عن الآخرين وبطريقة تبتعد على أسلوب تفكير الأفراد الآخرين في المشكلة المطروحة أو المواقف التي يمر بها، ومحاولة فعل الأمور بطريقة غير تقليدية، أو فعل ما عجز عنه أو تجاهله الآخرون.

البعد الثاني: النظرة البعيدة للأمور

ويعرِّفها الباحث بأنها التمعن في الآثار بعيدة المدى وما وراء الأحداث، والتأني في الحكم على الأمور، والقدرة على توقعها، أو إدراك ما ستؤول إليه.

ثالثا: البعد الثالث: التنظير الذاتي

ويعرِّفه الباحث بأنه وجود فلسفة ذاتية للفرد استخلصها من تجاربه الذاتية تتضمن طريقته التي يراها فردية، غير متأثرة بالآخرين، وتمتاز بكونها ثابتة نسبياً، في التعامل مع أحداث الحياة ومواقفها.

رابعاً : البعد الرابع: المقاومة

ويعرِّفه الباحث بأنه قدرة الفرد على التمييز بين الأفكار المختلفة، وعدم تقبل الأفكار التي تتضمن تأثيرات سلبية أو الأفكار الجديدة التي لم تخضع بعد لتمحيص أو اختبار، وعدم التأثر بما يضُر القناعات الراسخة لدى الفرد بالمفاهيم والقيم والعادات وغيرها، وعدم التأثر بمركز أو وضع أو حالة مرسل الفكرة.

وفيما يخص الذكاء العاطفي، فمصطلح الذكاء (Intelligence) يرجع إلى الكلمة اللاتينية (Intelligentsia) التي تعني (أهل الفكر) والتي ابتكرها الفيلسوف اليوناني شيشرون (الشيخ، 1990: 56)، والذكاء تكوين فرضي وليس وحدات أو أشياء ملموسة، فهو كلمة مجردة، بمعنى أن التعرف عليه أو قياسه لا

يأتي بصورة مباشرة، بل عن طريق نتائجه وأثاره، من خلال السلوك الذي يقوم به الفرد في البيئة، ومن هنا يرى (Wechsler) أن الذكاء هو القدرة الإجمالية للفرد على القيام بتصرفات هادفة والتعامل مع البيئة تعاملاً يتصف بالكفاءة والفاعلية (عويضة[1]، 1996: 23).

وقد تناول العلماء موضوع الذكاء بالدراسة والبحث ومنذ فترات زمنية بعيدة وبرزت فيه آراء ونظريات كثيرة ففي عام 1904 قدم (Spearman) نظريته التي أطلق عليها (نظرية العاملين) والتي كانت تقوم على أساس امبريقي وتعتمد على التحليل الإحصائي، وترى هذه النظرية في صيغتها الأولى أنَ كل وجه من أوجه النشاط العقلي يشترك مع غيره من الوجوه الأخرى بعامل يسمى العامل العام وكذلك يوجد إلى جانب هذا العامل العديد من العوامل النوعية الأخرى، وأي نشاط عقلي يحتوي على هذين العاملين. وبعد دراسات مستفيضة عدّلَ (Spearman) نظريته عندما أشار إلى أن أوجه النشاط العقلي عندما تكون متشابهة جداً نجد من الارتباط بينهما أكثر مما يعزى إلى العامل العام، ولذلك أفترض أنه بالإضافة إلى العاملين العام والنوعي يمكن أن يكون هناك عامل وسطي سماه العامل الطائفي (عويضة[2]، 1996: 73-74).

واقترح (Thorndike) وجود ثلاثة أشكال هي الذكاء المتعلق بالقدرات التحليلية واللفظية، والذكاء الميكانيكي المكاني، والذكاء الاجتماعي أو العملي، وفي كلام (Thorndike) عن الذكاء الاجتماعي كانت بذرة نشوء الذكاء العاطفي (Goel, 2019: 647-653)، ثم قام بعد ذلك (Thurston) بتحليل البيانات المستمدة من عدة اختبارات للقدرات العقلية وخَلُصَ إلى أن (Spearman) قد أفرط في تبسيط مفهوم الذكاء واستنتج وجود سبع قدرات أساسية أكثر من وجود قدرة أو سمة واحدة، فهو يرى أن الفرد مثلاً قد تتوافر لديه طلاقة لفظية بدرجة مرتفعة وأن اختبارات الذكاء لا تقيس قدرة عامة واحدة بل سبع قدرات

عقلية أولية، ووجد كذلك أن هذه القدرات الأولية مستقل بعضها عن البعض الآخر استقلالاً نسبياً، أي إن الذكاء العام مركب يتألف من قدرات عقلية أولية هي: القدرة على فهم معاني الكلمات، الطلاقة اللفظية، القدرة المكانية، القدرة على الاستدلال، القدرة العددية، السرعة الادراكية، والقدرة على التذكر (عبد الخالق ودويدار، 1999: 259-261).

وبعدها قدم (Horn) و (Cattell) نظرية عرفت باسم نظرية الذكاء المتبلور والذكاء المائع، إذ ينتظم مفهوم الذكاء حسب هذه النظرية تحت عاملين أساسيين هما: الذكاء المتبلور الذي يعكس ما يكتسبه الفرد من معلومات ومعارف من البيئة، والذكاء المائع الذي تحدده عوامل بيولوجية ووراثية تنتقل إلى الطفل عبر الكروموسومات والجينات التي يأخذها الطفل من الوالدين (علوان، 2003: 229).

أما (Gagne) فقد كان يرى إن الذكاء هو القدرة على التعلم، ويتكون من ثمانية أنواع تختلف فيما بينها من الأسهل إلى الأكثر تعقيداً هي: التعلم الإشاري، التعلم الإجرائي أو تعلم العلاقة بين المثير والاستجابة، التعلم الإجرائي المركب أو التسلسلي، تعلم الارتباط أو التداعي اللفظي، التعلم التمييزي أو تعلم التمييز، تعلم المفاهيم، تعلم القواعد أو المبادئ، وتعلم حل المشكلات (الأزيرجاوي، 1991، 340-345) و (الكبيسي والداهري، 1999: 137).

وفي عام 1982 طرح (Sternberg) نظريته في الذكاء التي عرفت بالنظرية الثلاثية والتي فسر فيها الذكاء من ثلاثة محاور رئيسة هي:

1- الذكاء وعلاقته بالمكونات العقلية للفرد: ويحدد (Sternberg) هنا مجموعة من العمليات العقلية الأولية التي تكمن وراء مفهوم الذكاء وهي:

أ - عمليات ما وراء الأداء: التي تقع في المستوى الأعلى من مستويات الذكاء وفقاً لـ (Sternberg) حيث تتضمن عمليات عقلية عليا مثل إدراك الفرد لطبيعة

المشكلة واختيار الاستراتيجية المناسبة لحل المشكلة ومراقبة الذات أثناء الأداء.

ب - عمليات الأداء: وتقع في المستوى التالي لمستوى ما وراء الأداء وتختلف عنها في أنها كثيرة ومتنوعة وتتضمن بعض العمليات الخاصة مثل التسجيل، الاستدلال، المقارنة، التطبيق وغيرها.

ج - عمليات اكتساب المعرفة: ويرى (Sternberg) على كيفية اكتساب الفرد معارفه وكيف يوظفها عند تعلم مواقف جديدة، وهنا يختلف عن غيره من الذين يرون أن أحد محددات الذكاء هو كم ونوع المعلومات السابقة التي اكتسبها الفرد من قبل.

2- الذكاء والخبرة الشخصية: ويمثل هذا المحور دور خبرات الفرد وعلاقتها بمستوى ذكاءه، ويرى (Sternberg) أن خبرات الفرد يمكن تصورها على هيئة امتداد يقع على أحد طرفيه المواقف والخبرات التي ألفها الشخص وأعتاد عليها ويقع على الطرف الآخر المواقف والخبرات والأحداث الجديدة في حياة الفرد، ومن ثم فإن الاعتماد على مفهوم الجدة المطلقة في تعريف الذكاء يكون مغالياً فيه.

3- الذكاء وعلاقته بالسياق الاجتماعي والثقافي للفرد: وهنا يرى أن ذكاء الفرد غالباً ما يكون موجهاً نحو تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة هي:

أ - التوافق مع البيئة: فالشخص الذكي غالباً ما يوجه جميع إمكاناته وطاقاته وخبراته في سبيل تحقيق التوافق مع البيئة التي يعيش فيها، وعلى الرغم من تشابه العمليات والمكونات العقلية التي يستخدمها الأفراد في تفاعلهم مع المواقف المختلفة إلا إن السياق الاجتماعي الذي يعمل من خلاله الفرد لابد أن يختلف باختلاف الإطار الثقافي والحضاري الذي ينتمي إليه، وهذا يعني إن جوهر ومضمون عمليات التفكير تكون عامة عند الأفراد جميعاً في مختلف

الثقافات غير أن الشكل أو المظهر الذي تتبدى فيه هذه العمليات يختلف من ثقافة لأخرى.

ب - تشكيل البيئة: ويسعى الفرد لهذا الهدف إذا فشل في تحقيق التوافق مع البيئة ويرى (Sternberg) إن هذا يمثل ركناً هاماً من أركان الذكاء.

ج - اختيار بيئة جديدة: ويلجأ إليه الفرد - الأكثر ذكاءً إذا فشل في تحقيق التوافق مع البيئة أو فشل في إعادة تشكيل هذه البيئة، فسيقوم باختيار بيئة جديدة. (عباس، 1996: 148-152).

بعدها قام (Gardner) بتحدي الاعتقاد السابق عن الذكاء عندما قال في كتابه (أطر العقل) عام 1983 "إن ثقافاتنا قد عَرّفَت الذكاء تعريفاً ضيقاً جداً" وأقترح وجود سبع ذكاءات أساسية على الأقل هي:

1- الذكاء اللغوي: وهو القدرة على استخدام الكلمات بفاعلية شفوياً كما هو الحال عند الشاعر والخطيب، أو تحريرياً كما هو الحال عند القاص والمؤلف.

2- الذكاء المنطقي الرياضي: وهو استطاعة الفرد استخدام الأعداد بفاعلية كما هو الحال عند علماء الرياضيات ومحاسبي الضرائب والحساسية للأنماط المنطقية والعلاقات العددية.

3- الذكاء المكاني: وهو القدرة على إدراك العالم البصري المكاني بدقة كما هو الحال عند الصياد والكشاف أو المرشد والقيام بتحويلات استناداً إلى تلك الإدراكات كما هو الحال عند مصممي الديكور.

4- الذكاء الجسمي الحركي: وهو الخبرة والكفاءة في استخدام الفرد لجسمه ككل للتعبير عن الأفكار والمشاعر كما هو الحال عند الممثل والمقلد والمهرج، ويضم هذا النوع مهارات نوعية كالتآزر والتوازن والمرونة والسرعة وغيرها.

5- الذكاء الموسيقي: هو القدرة على إدراك الصيغ الموسيقية كالتذوق للموسيقى، وتمييزها كالناقد الموسيقي، وتحويلها كالمؤلف، والتعبير عنها كالمؤدى، ويضم الحساسية للإيقاع والطبقة واللحن.

6- الذكاء الاجتماعي: وهو القدرة على إدراك أمزجة الآخرين ومقاصدهم ودوافعهم ومشاعرهم والتمييز بينها، ويضم الحساسية للتعبيرات الوجهية والصوت والإيحاءات والقدرة على الاستجابة بفاعلية لها.

7- الذكاء الشخصي: وهو القدرة على معرفة الذات والتصرف توافقياً على أساس تلك المعرفة، ويتضمن أن يكون لدى الفرد صورة دقيقة عن نواحي قوته وحدوده والوعي بأمزجته الداخلية ومقاصدها ودوافعه ورغباته والقدرة على تأديب الذات وفهمها وتقديرها (عدس، 1997: 45-57) و (الأعسر وكفافي، 2000: 88- 90) و (جابر، 2003: 9-12).

8- ثم أضاف (Gardner) بعد دراسات أخرى نوعاً آخر من الذكاء سماه الذكاء الطبيعي الذي ذكر بأنه يتضمن الحساسية لمظاهر الكون الطبيعية أي فهم الطبيعة وما بها من حيوانات ونباتات والقدرة على التصنيف (الدردير، 2004: 36).

ثم جاءت بعد ذلك نظرية الذكاء العاطفي، الذي يرى بعضهم أن جذور هذا النوع الأولى ترجع إلى عام 1920 عندما أشار (Thorndike) إلى أن الذكاء الاجتماعي أو القدرة على فهم الآخرين والتصرف السليم في العلاقات الإنسانية مظهر من مظاهر الذكاء (الأعسر وكفافي، 2000: 77)، فجاءت بعد ذلك بحوالي ستة عقود نظرية (Gardner) في الذكاءات المتعددة والتي أشارت ضمن ما أشارت إليه إلى وجود ذكاء في العلاقات مع الآخرين (الذكاء الاجتماعي)، وكذلك (ذكاء شخصي) يتضمن قدرة الفرد على فهم ذاته، فتبلورت كل الأفكار السابقة ليظهر مصطلح الذكاء العاطفي أول الأمر على يد (Bar-On) عام 1985 عندما

اقترح معامل الانفعالية، وعرَّف الذكاء العاطفي بأنه يظهر قدرتنا على التعامل بنجاح مع مشاعرنا ومع الآخرين، وقام بتصميم اختبار لقياس الذكاء العاطفي يعد أول اختبار من هذا النوع، وهو من نوع التقدير الذاتي ويقيس الذكاء من خمسة أبعاد هي:

1- داخل الشخص (الوعي بالذات، تقدير الذات، تحقيق الذات، الاستقلالية).

2- بين الشخص والغير (التعاطف، العلاقات بين الأشخاص، المسؤولية الاجتماعية).

3- القدرة على التوافق (تحمل الضغوط، التحكم في الاندفاعات).

4- إدارة الضغوط (حل المشكلات، المرونة).

5- المزاج العام (السعادة، التفاؤل). (الدردير، 2004: 20-21).

ثم جاء بعد ذلك العالمان (Mayer & Salovey) وكانت وجهة نظرهما إن الذكاء العاطفي هو نوع من الذكاء الاجتماعي يتضمن مقدرة الفرد على تطويع عواطفه ومشاعره وكذلك إدراك وتقدير مشاعر وعواطف الآخرين وأن يندمج معهم ويستخدم هذه الإدراكات لقيادة فكره وأفعاله، وقد احتوى هذا التعريف على نوعين من أنواع الذكاء المتعدد الذي جاء به (Gardner) في نظريته, هما الذكاء الاجتماعي والذكاء الشخصي، كما تضمن قدرات يمكن تصنيفها في خمسة حقول هي:

1- معرفة وإدراك النفس: أن يدرك الفرد عواطفه ومشاعره.

2- قيادة العواطف وتطويعها: أن يتدبر الفرد عواطفه ومشاعره.

3- تحفيز النفس: أن يدفع الفرد نفسه بنفسه، أي أن يكون مصدر دافعية لذاته.

4- التعاطف: أن يتعرف على مشاعر الآخرين.

5- العلاقات مع الآخرين: أن يتدبر علاقاته مع الآخرين. (سيف، 2001: 30-31).

ثم وضع (Mayer & Salovey) بعد ذلك نموذجهما للذكاء العاطفي بعدِّه مجموعة من القدرات العقلية منفصلاً عن سمات الشخصية المزاجية، والذي يريان فيه إن الوجدان يمنح الفرد معلومات هامة يتفاوت الأفراد فيما بينهم في القدرة على توليدها، والوعي بها، وتفسيرها، والاستفادة منها والاستجابة لها من أجل توافق أكثر ذكاءً (معمرية، 2005: 40-51).

وفي أوائل التسعينات زاد الاهتمام بموضوع الذكاء العاطفي ليأتي العالم الأمريكي في مجال دراسات المخ وعلوم السلوكيات (Daniel Goleman) الذي أجرى مجموعة من الأبحاث تعد الأقوى في هذا المجال، وكانت وجهة نظره تتركز في كون الذكاء العاطفي يتكون من مجموعة الكفاءات الشخصية والاجتماعية (الكفاءات العاطفية) وغير مستقل عن سمات الشخصية المزاجية (وهنا يختلف مع (Mayer & Salovey)، وبالطبع فإنهُ أثناء دراسته للموضوع درس ما توصل إليه (Bar-On) و (Mayer & Salovey) وغيرهم، وجاء كتابه الذكاء العاطفي الذي صدر عام 1995 ليضيف الكثير إلى ما توصل إليه من سبقه من العلماء الآخرين، وعرَّف الذكاء العاطفي بأنه القدرة على إدراك مشاعرنا الخاصة ومشاعر الآخرين، وأن نحفّز أنفسنا، ونروِّض عواطفنا، ونستخدمها بشكل يتيح نجاح أنفسنا وعلاقاتنا، كما رأى أن الذكاء العاطفي يحتوي على قدرات وكفاءات تختلف تماماً عن الذكاء العام المبني على القدرات المعرفية البحتة، والتي تقاس باختبارات الذكاء، وأن النجاح في الحياة يعتمد بنسبة 20% فقط على الذكاء العام، و80% على الذكاء العاطفي، كما يرى (Goleman) أن العالمين (Mayer & Salovey) قد أخذا في تطوير وتوضيح مفهوم الذكاء العاطفي فتوصلا إلى العوامل الخمسة التي سبق ذكرها، وقد قام هو بإضافة

تعديلات هامة رأى أنها مفيدة جداً في فهم أهمية المواهب الذاتية للإنسان وكيف تتحكم في نجاحه في حياته والإضافة التي أضافها تتلخص في الأبعاد العاطفية والاجتماعية الخمسة الآتية:

1- إدراك الذات أو الوعي بالذات: معرفة كيف نشعر في كل اللحظات والمواقف، وحسن استخدام هذه المعرفة في توجيه أنفسنا لأخذ القرارات السليمة، وكذلك تقدير مقدرتنا بطريقة منطقية والثقة بأنفسنا وكفاءاتنا.

2- تنظيم الذات: ويتضمن قدرة الفرد على ضبط انفعالاته والتحكم فيها، وقدرته على تغيير حالته المزاجية عندما تتغير الظروف، وقدرته على تنظيم انفعالاته وتوليد انفعالات وأفكار جديدة تساعده على التفكير الجيد، والتوافق مع الأحداث الجارية، وقدرته على الاتزان والهدوء حتى في الظروف الصعبة، وقدرته على التجديد والتغيير والابتكار لمواجهة متطلبات الحياة، وقدرته على أن يكون جديراً بثقة الآخرين.

3- الدافعية أو حفز الذات: وهو المقدرة على استخدام أفضل ما لدينا لتحريك أنفسنا وتحفيزها نحو الأفضل لتحقيق الأهداف، وتدريبها على أخذ المبادرات والسعي إلى التحسن والمثابرة على مواجهة النكسات والإحباطات.

4- التعاطف: ويتضمن حساسية الفرد في اكتشاف ومعرفة وفهم انفعالات الآخرين الظاهرة والدفينة والتوحد معهم ومساعدتهم والفاعلية في حل مشاكلهم ومتابعة أخبارهم، والحساسية تجاه متطلباتهم وتدعيم وحفز قدراتهم، ومدى وعي الفرد بالقوانين المنظمة للمجتمع.

5- المهارات الاجتماعية: هو مقدرة التعامل مع عواطفنا في علاقاتنا مع الآخرين بشكل صحيح وكذلك تتضمن مهارة الفرد في تكوين علاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين، والاتصال والتعاون معهم والتأثير فيهم، والفاعلية في حل الخلافات أو النزاعات التي تنشب بينهم والتعامل بحكمة معهم، وقدرته على أداء الأدوار

القيادية بنجاح والكفاءة في إدارة المناقشات الاجتماعية والتوكيدية (سيف، 2001: 33- 35) و (الدردير، 2004: 31-32).

ولموضوع الذكاء العاطفي أيضاً أهمية بالغة في المؤسسات المختلفة التربوية منها والإدارية والصناعية من أجل إعداد القادة الإداريين المتميزين حيث يرى (جولمان وآخرون 2002) أن أي إنسان يمكن أن يصبح قائداً إذا ما سخر ذكاءه العاطفي في مجال الذات عن طريقه وعيه بذاته وإدارتها ومجال الجماعات عن طريق الوعي الاجتماعي (أي الإحساس بالآخرين واستشعار احتياجاتهم) وإدارة العلاقات (أي القدرة على حشد الاتباع وتوجيههم) (جولمان وآخرون، 2002: 2). كل هذه الإشارات تؤكد الأهمية البالغة لموضوع الذكاء العاطفي التي دعت المربين إلى الدعوة بأن تتضمن المناهج الدراسية منهج يدرس فيه كمادة أساسية بعد أن ثبت أن أهميته حاسمة بالنسبة لمستقبل الأجيال تماماً كأهمية الموضوعات الأكاديمية الأخرى، بل أكثر أهمية (سيف، 2001: 77).

ولما يحظى به موضوع الذكاء العاطفي من أهمية كبيرة فقد تناولته العديد من الدراسات منها ما هدف إلى معرفة الفروق بين الفئات المختلفة في الذكاء العاطفي ومعرفة البناء العاملي للذكاء العاطفي، وأشارت لوجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في بعدي التعاطف والمسؤولية الاجتماعية ولصالح الإناث (حسين، 2003: 136-195)، وتوصل (الدردير 2004) إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث وبين طالبات التخصصات العلمية والأدبية في الذكاء العاطفي، ووجود علاقة موجبة دالة إحصائياً بين الذكاء العاطفي والتفكير الناقد وكذلك التفكير الابتكاري، وإن الطلبة مرتفعي الذكاء العاطفي يتميزون عن الطلبة منخفضي الذكاء العاطفي بسمة الثبات الانفعالي، والسيطرة والاندفاعية (الحماس، النشاط، الحيوية،

الانفتاح) وسمة الجرأة (الدردير، 2004، 19-119)، وتوصلت (المزروع 1426هـ) إلى وجود ارتباط إيجابي ذي دلالة إحصائية بين درجات فاعلية الذات وكل من دافعية الإنجاز والذكاء العاطفي بأبعاده المختلفة، وكذلك وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات الطالبات مرتفعات ومنخفضات الذكاء العاطفي في درجة فاعلية الذات لصالح الطالبات مرتفعات الذكاء العاطفي (المزروع، 1426هـ: 67-89)، وفي دراسة أخرى تم تشخيص ارتباط إيجابي ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.001) بين درجات هوية الأنا وكل من درجات فاعلية الذات والذكاء العاطفي، مع فروق ذات دلالة إحصائية فيه بين فاعلية الذات والذكاء العاطفي للطالبات الموهوبات والطالبات العاديات ولصالح الموهوبات (المزروع، 2006: الإنترنت)، أما (عيسى ورشوان 2006) فقد توصلا لوجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مرتفعي ومنخفضي الذكاء العاطفي في التوافق وأبعاده الفرعية والرضا عن الحياة وأبعاده الفرعية ولصالح مرتفعي الذكاء العاطفي (عيسى ورشوان، 2006: 45-130).

في حين توصل (المومني 2008) إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية على الدرجة الكلية لمقياس الذكاء الانفعالي تعزى لمتغيرات التحصيل الأكاديمي والاختصاص والجنس، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية على بعد التعاطف لصالح الإناث، وعلى بعد تنظيم الانفعالات لصالح الطلبة ذوي التحصيل المرتفع (المومني، 2008: 291-323)، وشَخَصَ (العلوان 2011) أن للذكاء العاطفي علاقة ارتباطية دالة بالمهارات الاجتماعية وأنماط التعلق (العلوان، 2011: 125-144)، كما كان الأشخاص الذين تميزوا بالذكاء العاطفي أقل إدماناً على الانترنت (Hamissi et al, 2013: 310-319)، وأعلى مستوىً فيما يتعلق بالأداء الأكاديمي (Kiss et al, 2014: 23-34)، ويمتازون بأنهم يشعرون بارتياح أعلى، رضا أكبر عن الحياة، ورضا وظيفي أكبر (Escoda &

(Alegre, 2016: 131-140)، ولديهم قدرة أعلى فيما يخص كفاءة إدارة العلاقات الإيجابية والنجاح في العمل الذي يمارسونه (Rath & Vasantha, 2017: 651-661)، كما أن الذكاء العاطفي يرفع من مستوى الأداء لدى المدراء (أبو الخير وأبو شعيرة، 2018: 198-214).

وفيما يخص التماسك النفسي، فمنذ عام 2007 أصبحت نظرية (Antonovsky) قضية مركزية لتعزيز الصحة في العالم، وتحظى بالاهتمام الكبير والدعم الواسع فيما يخص التطبيق واجراء البحوث الميدانية من قبل الاتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتعليم (Sardo et al, 2012: 1-6)، وكان مفهوم التماسك النفسي جاذباً للعديد من علماء النفس والمختصين في الميدان الصحي لأنه يفترض أن الصحة تنجم عن اتجاه شخصية الفرد نحو الحياة، بالإضافة للعوامل الموقفية، مثل الإدراك الشخصي للضغوط، والإدراك لمستوى الدعم الاجتماعي في المواقف الضاغطة، وكذلك مدى تأثيره على أجهزة الجسم المختلفة مثل الجهاز العصبي المركزي، والجهاز الغددي، وجهاز المناعة البيولوجية، كونه يمثل أداة للتوافق الناجح، ومصدر للإمداد السليم وقت الأزمات، وكذلك وسيلة تنقيح وتصفية عند تمثّل واستدخال المعلومات (نوار وزكري، 2019: 596-619).

وللتماسك النفسي ثلاثة أبعاد هي:

البُعد الأول: مشاعر الوضوح Sense of Comprehensibility

ويشمل التوقعات والمهارات التي يملكها الفرد وتمكّنه من تمثيل المثيرات أو المنبهات المعروفة أو غير المعروفة، كمعلومات متماسكة منظمة وليس كمثيرات مشوشة وعشوائية، لذا فمشاعر الوضوح تعني نمطاً معرفياً يتيح للفرد أن يفهم الأحداث في حياته، وأن يتنبأ بعقلانية بأحداث المستقبل.

البُعد الثاني: مشاعر الطواعية أو الإرادة (القابلية للتذليل Sense of Manageability

وتشمل التوافق مع الضغوط من خلال مصادر وقوى الفرد النفسية والاجتماعية، أي القدرة على التفاؤل والثقة باستعمال القوى الذاتية والدعم الاجتماعي بهدف مجابهة المتطلبات الداخلية والخارجية وتذليلها بنجاح، ويعدها (Antonovsky) نمط من أنماط التمثيل الانفعالي- المعرفي، فهي تشير إلى أن المواقف والأحداث قابلة للتحكم، وهي تحت السيطرة.

البُعد الثالث: مشاعر المعنى Sense of Meaning

ويتضمن المقدار الذي يشعر به الفرد انفعالياً بالحياة على أنها ذات معنى، أي القدرة على اشاعة الفرح والسرور بالحياة، والإحساس بها، والتمتع بإنجازاتها، وفهم قيمها مما يمكننا من تذليل صعوباتها بشغف وسرور ومتعة، فالتفاؤل يزيل مصاعب الحياة، والشعور بقيمة الإنجاز يخفف من صعوباتها (نفيل وجعدان، 2019: 623-647).

ويرى (Antonovsky) أن الفرد الذي يشعر بالتماسك النفسي والاتساق في الحياة، فمن الممكن لهذا الشعور أن يقلل من تأثير الضغوط التي تقع على الفرد في مناحي حياته المختلفة (Alm et al, 2015: 490-499)، كما أنه يسهم بشكل مباشر في تنمية قدرة الفرد على التعامل مع كثير من المتغيرات كالمرونة والتنظيم الذاتي (Von Humboldt & Leal, 2013: 235-251)، وهو عامل مهم للحماية عندما يواجه الفرد وضعاً مرهقاً يجعله يشعر بالضعف، وينبغي أن يؤخذ بالحسبان عند تصميم استراتيجيات عامة لتلبية الاحتياجات العملية للأفراد (Ethel et al, 2016: 206-2016)، كما ارتبط المستوى العالي من التماسك النفسي بارتفاع الإحساس الصحة النفسية، وانخفاض النظرة المتشائمة للحياة حتى لدى الأفراد الذين تعرضوا لظروف صحية خطيرة جداً

(Forsberg-Warleby, 2002: 128-133)، قلق أقل، وذكاء شخصي أعلى ولديهم استراتيجيات معرفية وسلوكية ونفسية فعالة تسهم في التعامل بشكل أفضل (:Mowlaie et al, 2016)، كما أشارت دراسات أخرى إلى أن التماسك النفسي يرتبط بالصحة الجيدة، والشعور باحترام الذات، والرضا الشخصي عن الحياة، والتوازن العاطفي، والقدرة على فهم مشاعر الآخرين (Mantas et al, 2015: 34-42).

وطوَّر (Antonovsky) أداةً لقياس التماسك النفسي تألف في الصورة الأولى له من (29) فقرةً، تقاس بطريقة (Likert) على مقياس سباعي (Mittelmark et al, 2017: 97-106)، وقد تم استخدامه في (124) دراسةً في (32) دولة، كانت معاملات ثباته فيها تتراوح بين (70-95) (Eriksson & Lndstrom, 2005: 460-466)، لكن بالرغم من عشرات الدراسات التي اشارت الى موثوقية هذا المقياس مثل دراسة (Paika et al, 2017: 2-10)، فقد تعرض هذا المقياس للعديد من الانتقادات، وحاول البعض منها التشكيك فيه، بالقول أنه لم يكن كافياً مثل دراسة (Flensborg-Madsen et al , 2006: 2212-2219) ودراسة (Griffiths et al, 2011: 168-173).

بينما أشارت الدراسات التي تناولت الصورة القصيرة للمقياس البالغ عدد فقراتها (13) فقرةً أن له خصائص قياس جيدة جداً، ومعاملات موثوقية عالية، وإن كان من الأفضل استخدام التدرج الخُماسي وليس السُباعي في تقدير إجابة المفحوصين (Holmefur, et al, 2014: Internet)، كما أشارت دراسات أخرى إلى أن الصورة القصيرة للمقياس قادرة على التنبؤ بحالات الاكتئاب، وعدم الرضا عن العمل (Masanotti, 2020: 1-25)

ثانياً: مشكلة الدراسة

يعيش العالم منذ مدّة ليست بقليلة في خضَّم تغيُّرات كبيرة متسارعة، كان من نتائجها وآثارها ظهور الكثير من العادات والأفكار، وزوال أو ضعف العديد من القيم التقليدية أمام التأثير القوي للقيم الحديثة التي أخذت في تغيير طبيعة حياة الأفراد والمجتمعات بشكل سريع جداً، وأثر كل ذلك في بناء شخصية الفرد، وطبيعة تفاعلاته مع الآخرين في النطاق الذي يحيى فيه.

ولأن الشباب سيكونون أشد المتأثرين بهذه التغيُّرات، كونهم يسعون للبحث عن الجديد، وأذهانهم متفتحة لكل فكر يسعى للتغيير، فإن التركيز سيكون عليهم بصورة كبيرة جداً، لذا ستوجه وسائل الإعلام التقليدية والحديثة منها، أكثر جهدها لمحاولة التأثير على هذه الفئة، لذا ينبغي أن تكون الحصانة التي يتمتعون بها، والمناعة الفكرية التي يقاومون بها هذه الهجمة بمستوى عالٍ ومؤثر.

كما إن انخفاض مستوى الذكاء الوجداني أو العاطفي يكون مصحوباً بنقص في التوافق وفي الرضا عن الحياة لدى الطلبة بصفة عامة، لأنهم غالباً ما يعانون من مشكلات انفعالية وسلوكية (عيسى ورشوان، 2006: 45 -130)، وفي دراسة (Kelly & Caplan) على مجموعة من موظفي شركة (Bell) الأمريكية الحاصلين على درجات مرتفعة في الذكاء المعرفي أو العام، وجد الباحثان أن 15% فقط تم تصنيفهم على أنهم موظفون مميزو الأداء، لديهم قدرة مرتفعة على إدارة الأزمات بفاعلية ومستوى أدائهم مرتفع، كما وجد الباحثان إن كلاً من المهارات العقلية والمؤهلات الأكاديمية لوحدهما ليستا قادرتين على التمييز بين متوسطي ومرتفعي الأداء، ولكن ما سمي لاحقاً بمهارات الذكاء العاطفي مثل: حفز الذات، الإصرار، المثابرة، المبادرة، المرونة، القدرة

على العمل بفاعلية ضمن فريق، وتحمل الضغوط، هي التي أظهرت قدرة تمييزية أعلى بين هاتين المجموعتين (معمرية، 2005: 40-51).

ولأن التماسك النفسي لدى الأفراد جزء من النموذج البيولوجي النفسي-الاجتماعي، وهو أمر يرتبط بالمناعة الفكرية نظرياً بصورة تستدعي الدراسة والبحث، فقد حددت مشكلة الدراسة الحالية في الكشف عن العلاقة الارتباطية بين المناعة الفكرية بأبعادها الأربعة، مع الذكاء العاطفي، والتماسك النفسي-بأبعادهما المختلفة.

ثالثاً: أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى الإجابة على الأسئلة التالية:

1. ما مستوى المناعة الفكرية، الذكاء العاطفي، التماسك النفسي لدى الطلبة.
2. هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين المناعة الفكرية والذكاء العاطفي والتماسك النفسي لدى الطلبة.

رابعاً: حدود الدراسة

تتحدد الدراسة الحالية بعينة من طلبة المرحلة الأولى كلية التربية في جامعة سامراء من الجنسين ومن الاختصاصات العلمية والإنسانية للعام الدراسي 2019 / 2020.

خامساً: تحديد المصطلحات

1. المناعة الفكرية

يعرِّف الباحث المناعة الفكرية نظرياً بأنها: منظومة فرضية داخلية، تحدد طريقة الفرد في التعامل مع المواقف، وتجعله يوظف المقاومة الذاتية لديه، وتفكيره المستقل، والثبات في طريقة التعامل، والنظرة البعيدة للأمور والأحداث، لينتج وجهة نظر أو فلسفة شخصية يكون دورها وقاية الفرد من

الوقوع في الخطأ، أو حمايته من التقليد الأعمى في التعامل مع المشكلات المختلفة التي يتعرض لها.

أما التعريف الإجرائي للمناعة الفكرية فيتحدد بالدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس المناعة الفكرية المستخدم في الدراسة الحالية.

2. الذكاء

يعّرفه (الزغول والزغول ب ت) بأنه قدرة الفرد على التفكير المجرد والتعلم والاستفادة من الخبرة (الزغول والزغول، ب ت: 22)، ويرى (دويدار 1997) أن الذكاء هو القدرة على التعلم واستخدام الفرد ما تعلمه في التكيف لمواقف جديدة، أي لحل مشكلات جديدة (دويدار، 1997: 70)، ويورد (عبد الخالق ودويدار 1999) جملة تعريفات للذكاء لعلماء مشهورين مثل: (Terman) الذي يعرِّفه بأنه القدرة على التفكير المجرد أي التفكير بالرموز من ألفاظ وأرقام مجردة من مدلولاتها الحسية، و (Stern) الذي يعرف الذكاء بأنه القدرة على التكيف العقلي للمشكلات والمواقف الجديدة، و(Colvin) الذي يعرِّفه بأنه القدرة على التعلم (عبد الخالق ودويدار، 1999: 250).

3. الذكاء العاطفي

يعرِّفه (Mayer & Salovey 1993) بأنه القدرة على تقييم الانفعالات والاستجابة لها والتمكن من التفكير الدقيق فيها وفهم الانفعالات والمعرفة الانفعالية بشكل عام والتنظيم الفعال للانفعالات بهدف التطور العقلي والانفعالي (عكاشة، 2005: 13-73)، ويعرفه (Dulewics & Higgs 1999) بأنه معرفة الفرد لمشاعره وكيفية توظيفها من أجل تحسين أدائه، وتحقيق أهدافه، والتعاطف والفهم والإدراك لمشاعر الآخرين من أجل بناء علاقة ناجحة معهم (الخضر، 2002: 5-45)، ويرى (جولمان 2000) أن الذكاء العاطفي هو أن نكون قادرين على التحكم في نزعاتنا ونزواتنا وأن نقرأ مشاعر

الآخرين الدفينة، ونتعامل بمرونة في علاقاتنا مع الآخرين، أو على حد تعبير أرسطو "تلك المهارة على أن نغضب من الشخص المناسب، بالقدر المناسب، في الوقت المناسب، والهدف المناسب" (جولمان، 2000: 13).

أما التعريف الإجرائي للذكاء العاطفي فيتحدد بالدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس الذكاء العاطفي المستخدم في الدراسة الحالية.

4. التماسك النفسي

يعرِّفه (Antonovsky) بأنه توجه نحو الحياة يعبِّر عن المقدار الذي يمتلك فيه الفرد الشعور الدينامي الملحُّ الدائم بالثقة بتوقعاته في عالم خبراته الداخلية والخارجية، وبأن هناك احتمالاً مرتفعاً بأن تتطور الفرص بالشكل الذي يتوقعه (حدة، 2015: 53-71).

أما التعريف الإجرائي للتماسك النفسي فيتحدد بالدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس التماسك النفسي المستخدم في الدراسة الحالية.

منهج الدراسة وإجراءاتها

أولاً: مجتمع الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة الحالية من طلبة المرحلة الأولى في كلية التربية للعام الدراسي 2020/2019 البالغ عددهم (1029) طالباً وطالبةً، أما عينة الدراسة فقد تألفت من (316) طالباً وطالبةً شكلوا نسبة (30,7%) من المجتمع الكلي.

ثالثاً: أدوات الدراسة

1. مقياس المناعة الفكرية (إعداد الباحث)

مرَّ إعداد هذا المقياس بمراحل عديدة، إذ تم أولاً تحديد أبعاد المقياس، ومن ثم قام الباحث بوضع تعريف لكل بُعد من هذه الأبعاد، وبعد ذلك تم تحديد فقرات كل بُعد، وقد تكون المقياس بصورته الأولية من (43) فقرةً موزعة على أربعة أبعاد هي: التفكير المستقل: وتضمن (14) فقرةً، النظرة البعيدة للأمور: وتضمن (10) فقرات، التنظير الذاتي: وتضمن (8) فقرات، المقاومة: وتضمن (11) فقرةً.

2. مقياس الذكاء العاطفي لـ (الدردير 2004)

من أجل تحقيق أهداف الدراسة قام الباحث بتبني مقياس الذكاء العاطفي الذي قام (الدردير 2002) ببنائه استناداً إلى نموذج (جولمان 1998) للذكاء العاطفي والمتكون من (83) فقرة موزعة على خمسة مجالات هي: المهارات الاجتماعية (19) فقرةً، الوعي بالذات (15) فقرةً، التعاطف (15) فقرةً، الدافعية (17) فقرةً وتنظيم الذات (17) فقرةً. وفي المقياس خمس فقرات مكررة من أجل التأكد من صدق الإجابة، وبذلك يكون المقياس مكون من (88) فقرةً.

3. مقياس التماسك النفسي (Antonovsky 1987)

قام الباحث باستخدام الصورة القصيرة لمقياس التماسك النفسي الي طورها (Antonovsky 1987)، والتي تتألف من (13) فقرةً يُجاب عنها بتدرج سباعي، وتقيس مشاعر التماسك في ثلاثة أبعاد هي: الشعور بالوضوح (5) فقرات، الشعور بالطواعية (4) فقرات، الشعور بالمعنى (4) فقرات.

وقد تم التأكد من صدق المقاييس، من خلال الاعتماد على الصدق الظاهري المتحقق من خلال عرض المقياس على مجموعة من الخبراء في ميدان الاختصاص، أما ثبات المقاييس فقد تم احتسابه من خلال استخدام طريقة إعادة الاختبار (Test-retest) إذ تم تطبيق المقياس على عينة من الطلبة، وبعد مرور ثلاثة أسابيع على التطبيق الأول قام الباحث بإعادة التطبيق على نفس العينة، فكان عامل ثبات مقياس المناعة الفكرية الذي يمثله معامل ارتباط بيرسون بين التطبيقين (0,81)، ومعامل ثبات مقياس الذكاء العاطفي (0,79)، ومعامل ثبات مقياس التماسك النفسي (0,74).

رابعاً: الوسائل الإحصائية

1- مربع كاي.
2- معامل ارتباط بيرسون.
3. التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية.
4. برنامج الحقيبة الإحصائية في العلوم الاجتماعية (SPSS).

عرض النتائج ومناقشتها

توصلت الدراسة الحالية إلى النتائج التالية:

1. فيما يخص التعرف على المناعة الفكرية، الذكاء العاطفي، التماسك النفسي لدى الطلبة فقد توصلت الدراسة الحالية إلى النتائج المبينة في جدول (1).

المتغيرات	الأبعاد	المتوسط	الانحراف المعياري
المناعة الفكرية	التفكير المستقل	31,18	4,005
	النظرة البعيدة للأمور	20,64	2,89
	التنظير الذاتي	17,55	2,17
	المقاومة	24,09	3,31
	الدرجة الكلية	93,38	4,01
الذكاء العاطفي	المهارات الاجتماعية	68,91	5,64
	الوعي بالذات	51,22	4,36
	التعاطف	54,07	4,23
	الدافعية	63,28	5,45
	تنظيم الذات	59,73	6,73
	الدرجة الكلية	296,88	5,33
التماسك النفسي	الشعور بالوضوح	28,43	2,14
	الشعور بالطواعية	22,94	3,06
	الشعور بالمعنى	23,57	2,82
	الدرجة الكلية	74,69	2,77

يتضح من الجدول (1) أن مستوى العينة في المتغيرات المبحوثة كان جيداً، إذ إنه كان أعلى من المتوسط الفرضي للمقاييس الثلاثة.

أما فيما يخص العلاقة بين المناعة الفكرية وبين الذكاء العاطفي، فقد توصلت الدراسة إلى النتائج المبينة في جدول (2).

جدول(2) معاملات الارتباط بين المناعة الفكرية والذكاء العاطفي

		الذكاء العاطفي					
		المهارات الاجتماعية	الوعي بالذات	التعاطف	الدافعية	تنظيم الذات	الدرجة الكلية
المناعة الفكرية	التفكير المستقل	0,11	*0,24	0,09	*0,31	**0,42	*0,22
	النظرة البعيدة	*0,18	*0,33	0,12	*0,29	*0,38	*0,26
	التنظير الذاتي	0,08	*0,47	*0,18	*0,51	**0,44	*0,37
	المقاومة	*0,31	**0,29	*0,24	*0,43	*0,37	*0,43
	الدرجة الكلية	0,14	*0,33	0,13	*0,39	**0,41	*0,36

يتضح من الجدول (2) وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين المناعة الفكرية والذكاء العاطفي، وقد كانت هذه العلاقة في أقوى صورها مع مكون تنظيم الذات ضمن مكونات الذكاء العاطفي، في حين لم تكن هذه العلاقة دالة إحصائياً مع مكوني المهارات الاجتماعية والتعاطف، وهذا يشير إلى أن المناعة الفكرية كمنظومة داخلية فردية، قد لا تتأثر كثيراً خلال عملها الوقائي للفرد، بفهم الفرد لانفعالات الآخرين، أو معرفة متطلباتهم النفسية، أو حتى ممارسة الدور الكبير أو القيادي في المحيط

الاجتماعي للفرد، بل التركيز على البعد الذاتي للفرد، ويؤكد ذلك ما أشارت إليه النتائج أيضاً من أن الارتباط الأكبر كان مع تنظيم الذات الذي يعني القدرة على التجديد والتغيير في التفاعلات الخاصة بالفرد.

وفيما يخص التعرف على العلاقة الارتباطية بين المناعة الفكرية والتماسك النفسي، فقد توصلت الدراسة إلى النتائج المبينة في جدول (3).

		التماسك النفسي			
		الشعور بالوضوح	الشعور بالطواعية	الشعور بالمعنى	الدرجة الكلية
المناعة الفكرية	التفكير المستقل	**0,46	**0,38	0,07	**0,44
	النظرة البعيدة للأمور	*0,38	*0,24	0,11	*0,34
	التنظير الذاتي	*0,19	**0,57	0,15	*0,33
	المقاومة	*0,19	*0,29	*0,19	*0,24
	الدرجة الكلية	*0,27	**0,31	0,13	**0,37

يتضح من جدول (3) وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0,01) بين المناعة الفكرية والتماسك النفسي، وقد كانت هذه العلاقة في أوضح صورها بين بُعد التفكير المستقل ضمن أبعاد المناعة الفكرية، وبين بُعد مشاعر الوضوح بعدِّه بعداً من أبعاد التماسك النفسي، وهذه النتيجة تشير إلى أن التماسك النفسي ولأنه يسهم في فهم الأحداث، والتنبؤ بها، والسيطرة على المواقف المختلفة وما يرتبط بها، من متطلبات داخلية وخارجية، وكونه يسهم بصورة كبيرة في عملية التمثيل المعرفي في التعامل مع المحيط الخارجي، ستكون علاقته بالمناعة الفكرية علاقة عالية.

. الاستنتاجات

توصلت الدراسة إلى الاستنتاجات الآتية:

1. يتمتع الشباب الجامعي بمستوى جيد من المناعة الفكرية، والذكاء العاطفي، والتماسك النفسي.

2. ترتبط المناعة الفكرية كآلية ذاتية للتعامل مع الأفكار والمعلومات والمواقف بالذكاء العاطفي وخاصة المكونات التي تشير للذات منه (تنظيم الذات، الوعي بالذات، الدافعية).

3. لا ترتبط المناعة الفكرية بالمهارات الاجتماعية والتعاطف ضمن مكونات الذكاء العاطفي.

4. ترتبط المناعة الفكرية بالتماسك النفسي. وخاصةً بُعدي الشعور بالوضوح والشعور بالطواعية.

5. لا ترتبط المناعة الفكرية بالشعور بالمعنى بعدّه بعداً من أبعاد التماسك النفسي.

. التوصيات

1. التوسع في توضيح مفهوم المناعة الفكرية، والتماسك النفسي كونها من المفاهيم الحديثة، من خلال كتابة المقالات التي تشرح هذين المفهومين.

2. إجراء دراسات أخرى لدراسة العلاقة الارتباطية بين المناعة الفكرية وبين متغيرات أخرى كالتفكير ما وراء المعرفي.

مقياس الذكاء العاطفي

ت	الفقرات	تنطبق عليّ دائماً	تنطبق عليّ كثيراً	تنطبق عليّ أحياناً	تنطبق عليّ قليلاً	لاتنطبق عليّ إطلاقاً
1	أشعر بالثقة في ذاتي في معظم المواقف.					
2	لا توقفني العقبات عن تحقيق أهدافي.					
3	أستطيع تغيير انفعالاتي بسرعة عندما تتغير الظروف.					
4	أستطيع أن أكون الأصدقاء بسهولة.					
5	عند سماعي عن مشكلة لشخص ما يتداعى إلى ذهني حلول كثيرة لها.					
6	لدي القدرة على التكيف مع الأحداث الجارية					
7	أبادر دائماً بمحادثة الآخرين.					
8	عندما أكون قلقاً من مشكلة ما أستطيع تحديد أي جانب من جوانبها يضايقني.					

ت	الفقرات	تنطبق عليّ دائماً	تنطبق عليّ كثيراً	تنطبق عليّ أحياناً	تنطبق عليّ قليلاً	لاتنطبق عليّ إطلاقاً
9	افضل إنجاز الأعمال التي تتطلب جهداً ومهارة.					
10	أشعر بالضيق عند مواجهة شخص غاضب (زعلان).					
11	أقدر انفعالاتي وعواطفي تقديراً جيداً.					
12	عادةً أكون هادئ وإيجابي حتى في الظروف الصعبة.					
13	أكون متفائلاً بصفة عامة وأخطط لمستقبلي.					
14	يصفني زملائي بأن إحساسي مرهف تجاه الآخرين.					
15	أجيد فن التعامل مع الآخرين.					
16	أسعى دائماً لأكون من المتفوقين.					
17	ينتابني شعور بالضيق تجاه أي شخص يخالف القانون.					
18	غالباً يتم اختياري لأكون قائداً للجماعة التي أعمل معها.					

ت	الفقرات	تنطبق عليّ دائماً	تنطبق عليّ كثيراً	تنطبق عليّ أحياناً	تنطبق عليّ قليلاً	لاتنطبق عليّ إطلاقاً
19	أشعر بالذنب تجاه الأشياء الخاطئة التي ارتكبتها في الماضي					
20	اشعر بالرضا عن ذاتي عندما أقدر الأمور تقديراً واقعياً					
21	أكمل أو أنهي دائماً أي عمل أبدأ به.					
22	أستطيع معرفة وفهم مشاعر الآخرين من خلال تعبيرات وجوههم.					
23	لدي مهارة في توليد الأفكار الحديثة لمواجهة متطلبات الحياة					
24	لدي قدرة تحديد جوانب القوة والضعف في ذاتي					
25	أشعر بأنني كفء في إدارة المناقشات الاجتماعية.					
26	أشعر بالارتياح تجاه الناس العاطفيين.					

ت	الفقرات	تنطبق عليّ دائماً	تنطبق عليّ كثيراً	تنطبق عليّ أحياناً	تنطبق عليّ قليلاً	لاتنطبق عليّ إطلاقاً
27	أستطيع التفكير جيداً وأركز في عملي في الظروف الضاغطة.					
28	لديّ القدرة على التحكم في انفعالاتي تجاه أي موقف.					
29	لا تؤثر انفعالاتي الحزينة في اتخاذ قراراتي.					
30	أستطيع أن انسجم بسهولة وبسرعة مع أي موقف اجتماعي					
31	أفضل الأهداف ذات التحدي مع الأخذ بالاعتبار المخاطر المحسوبة لتحقيقها.					
32	أتأثر كثيراً بالحالة النفسية لمن يحيطون بي.					
33	لدي القدرة على عدم التفكير في مشاكلي.					
34	أستطيع التعبير بالضبط عن مشاعري سواء أكانت مشاعر فرح أو حزن.					

ت	الفقرات	تنطبق عليّ دائماً	تنطبق عليّ كثيراً	تنطبق عليّ أحياناً	تنطبق عليّ قليلاً	لاتنطبق عليّ إطلاقاً
35	استمتع بقضاء الوقت مع أصدقائي.					
36	أظل هادئاً وإيجابياً تجاه أي شخص حتى أعرفه جيداً.					
37	تأخذ أحداث الوضع في العراق حيزاً كبيراً من تفكيري					
38	أسعى لتحسين طريقة عملي حتى ولو أخذت النصيحة في هذا الجانب من شخص أصغر مني.					
39	يزداد تقديري لذاتي عندما أتغلب على عادة سيئة.					
40	أستطيع التناغم مع نشاط الجماعة وفهمه.					
41	عندما أشعر بالتوتر والعصبية تجاه شخص ما فإنني أتراجع وأعيد تقييم الموقف					
42	أتابع باهتمام أخبار الأطفال المعاقين.					

ت	الفقرات	تنطبق عليّ دائماً	تنطبق عليّ كثيراً	تنطبق عليّ أحياناً	تنطبق عليّ قليلاً	لاتنطبق عليّ إطلاقاً
43	أحاول دائماً حلّ المنازعات التي تنشأ بين أفراد الجماعة					
44	أبذل قصارى جهدي في أي عمل حتى ولو لم يقدره الآخرين.					
45	أشعر بالثقة بذاتي في معظم المواقف.					
46	لا أشعر بالملل تجاه الأشياء التي لم أستطع تحقيقها مهما بذلت من جهد.					
47	أستمع إلى مشكلات الآخرين وأسعى إلى حلها.					
48	لديّ القدرة على تغيير وجهة نظر الجماعة نحو موضوع ما					
49	أتذكر الأحداث السارة أكثر من الأحداث الغير سارة.					
50	أثق بقدراتي ثقة كاملة.					
51	غالباً ما أكون متعاوناً مع أفراد الجماعة.					

ت	الفقرات	تنطبق عليّ دائماً	تنطبق عليّ كثيراً	تنطبق عليّ أحياناً	تنطبق عليّ قليلاً	لاتنطبق عليّ إطلاقاً
52	عندما أقوم بعمل صعب غالباً ما أنجزه.					
53	أستطيع اكتشاف المشاعر الدفينة للآخرين.					
54	لا أقول أشياء و أندم عليها.					
55	عند الفشل في أي عمل من الأعمال فإنني ألقي اللوم على نفسي.					
56	أستطيع أداء أي عمل لفترة طويلة دون شعور بالملل والإجهاد.					
57	أبادر بتقديم العون والمساعدة للمحتاجين.					
58	غالباً ما يأخذ أصدقائي بنصائحي.					
59	أستطيع ربط مشاعري بما أفكر فيه.					
60	أفضل دائماً العمل مع فريق عمل متميز.					

ت	الفقرات	تنطبق عليّ دائماً	تنطبق عليّ كثيراً	تنطبق عليّ أحياناً	تنطبق عليّ قليلاً	لاتنطبق عليّ إطلاقاً
61	ألتزم دائماً بوعودي وعهودي مع الآخرين.					
62	أحاول دائماً تدعيم السلوكيات الإيجابية لدى الآخرين.					
63	لديّ الوعي بما أقوم به من أعمال يومية.					
64	عندما يكون مزاجي متكدراً فإنني إلى(صديق، نادي..) كي أغير حالتي المزاجية					
65	غالباً ما يأخذ أفراد الجماعة بوجهات نظري.					
66	ينتابني الشعور بالضيق تجاه الأعمال التي أنجزها لأنه يجب أن أقدم المزيد بغض النظر عما أنجزته في ذلك العمل.					
67	لدي القدرة على تحديد أخطائي.					

ت	الفقرات	تنطبق عليّ دائماً	تنطبق عليّ كثيراً	تنطبق عليّ أحياناً	تنطبق عليّ قليلاً	لاتنطبق عليّ إطلاقاً
68	أبذل قصارى جهدي في المواقف المحزنة حتى أتجنب البكاء					
69	إحساسي الشديد بانفعالات الآخرين الحزينة يجعلني مشفقاً عليهم.					
70	أحرص دائماً على تكوين علاقات ناجحة مع الآخرين.					
71	أقدر أسوأ العقبات الممكنة قبل الشروع في أي عمل ينبغي أداءه.					
72	أحاول دائماً الاتصال بأفراد الجماعة.					
73	أفعل ما يتوقعه الناس مني مهما كلفني ذلك من جهد.					
74	أشعر بالضيق عند مواجهة شخص غاضب (زعلان).					
75	أستطيع التحدث أمام حشد من الناس.					

ت	الفقرات	تنطبق عليّ دائماً	تنطبق عليّ كثيراً	تنطبق عليّ أحياناً	تنطبق عليّ قليلاً	لاتنطبق عليّ إطلاقاً
76	عندما أشعر بالضيق فإنني أشغل نفسي في عمل أفضله					
77	يصفني زملائي بأنني طموح جداً.					
78	تعتمد السعادة من وجهة نظري على الأفراد المحيطين بالشخص					
79	أستطيع السيطرة على انفعالاتي بعد موقف محزن.					
80	أشجع التطوير في سلوكيات الجماعة ولو كان بسيطاً.					
81	لا توقفني العقبات عن تحقيق أهدافي.					
82	أشعر في كثير من الأحيان بثقة الآخرين.					
83	أمدح الآخرين عندما يستحقون ذلك.					
84	عندما أشعر بالضيق فإنني أعرف سببه.					

ت	الفقرات	تنطبق عليّ دائماً	تنطبق عليّ كثيراً	تنطبق عليّ أحياناً	تنطبق عليّ قليلاً	لاتنطبق عليّ إطلاقاً
85	أشعر بالارتياح تجاه الناس المتفائلين.					
86	أستطيع تغيير انفعالاتي بسرعة عندما تتغير الظروف.					
87	إحساسي الشديد بالأطفال اليتامى يجعلني مشفقاً عليهم.					
88	أستطيع أن أكون الأصدقاء بسهولة.					

توزيع فقرات مقياس الذكاء العاطفي على مكوناته الخمسة

الوعي بالذات	تنظيم الذات	الدافعية	التعاطف	المهارات الاجتماعية
1	3	2	5	4
8	6	9	10	7
11	12	13	14	15
20	19	16	17	18
14	23	21	22	25
29	28	27	26	30
34	33	31	32	35
39	36	38	37	40
45	41	44	42	43
50	49	46	47	48
55	54	52	53	51
59	58	56	57	60
63	64	61	62	65
67	68	66	69	70
71	76	73	74	72
84	79	77	87	75
	82	81		78
	86	85		80
				83
				88

مقياس التماسك النفسي

أمامك مجموعة من الأسئلة التي تخص نواحي مختلفة من حياتك، لكل سؤال (7) إجابات محتملة، من فضلك اختر الرقم الذي يمثل اجابتك، حيث يمثل رقم (1) ورقم (7) الاجابات الأقصى، فإذا كنت الإجابة رقم (1) صحيحة بالنسبة لك، ضع دائرة حول الرقم (1)، و إذا كنت الإجابة رقم (7) صحيحة بالنسبة لك، ضع دائرة حول الرقم (7)، وإذا كنت تشعر بشيء مختلف ضع دائرة حول الرقم الذي ترى بأنه يمثل درجة ما تشعر به، الرجاء إعطاء إجابة واحدة فقط لكل سؤال.

1. هل حقاً لديك شعور بعدم الاهتمام بما يجري من حولك؟								
نادراً أو لا أبداً	1	2	3	4	5	6	7	كثيراً جداً
2. هل حدث لك بالماضي وأن تفاجأت من تصرفات الناس الذين كنت تظن أنك تعرفهم جيداً؟								
لم يحدث أبداً	1	2	3	4	5	6	7	يحدث دائماً
3. هل حدث وأن أصبت بخيبة أمل من الناس الذين كنت تعول عليهم؟								
لم يحدث أبداً	1	2	3	4	5	6	7	يحدث دائماً

4. حياتك حتى اللحظة تبدو وكأنها:								
بلا أهداف أو غايات واضحة	1	2	3	4	5	6	7	أهداف وغايات واضحة للغاية
5. هل لديك شعور بأن ما يحدث لك غير عادل؟								
دائماً	1	2	3	4	5	6	7	نادراً أو لا أبداً
6. هل تشعر بأنك في وضع غير اعتيادي ولا تعرف ماذا ستفعل؟								
كثيراً	1	2	3	4	5	6	7	نادراً أو لا أبداً
7. الأمور التي تقوم بها كل يوم هي:								
مصدر متعة ورضا عميقين	1	2	3	4	5	6	7	مصدر للألم والملل
8. هل لديك مشاعر وأفكار مختلطة جداً؟								
نادراً أو لا أبداً	1	2	3	4	5	6	7	كثيراً
9. هل حدث وأن واجهت المشاعر التي كنت لا ترغب أن تواجهها؟								
نادراً أو لا أبداً	1	2	3	4	5	6	7	كثيراً

10. العديد من الناس، حتى الذين يملكون شخصيات قوية، يشعرون أحياناً مثل الفاشلين (في بعض المواقف أو مواقف محددة) كم عدد المرات التي شعرت بهذه الطريقة في الماضي؟								
أبداً	1	2	3	4	5	6	7	كثيراً
11. عندما وقعت بعض الأحداث، هل وجدت عموماً:								
انك بالغت أو هونت من شأنها	1	2	3	4	5	6	7	انك قيمت الوضع بطريقة صحيحة
12. هل تشعر غالباً بأن هناك القليل من المعنى في الأشياء التي تقوم بها في حياتك اليومية؟								
نادراً أو لا أبداً	1	2	3	4	5	6	7	كثيراً
13. هل تشعر غالباً بأنك غير متأكد من قدرتك على التحكم.								
نادراً جداً	1	2	3	4	5	6	7	كثيراً

توزيع فقرات مقياس التماسك النفسي على أبعاده الثلاثة

الشعور بالوضوح		الشعور بالطواعية		الشعور بالمعنى	
رقم الفقرة	نوعها	رقم الفقرة	نوعها	رقم الفقرة	نوعها
11	إيجابية	13	سلبية	1	سلبية
9	سلبية	10	سلبية	4	إيجابية
8	سلبية	5	سلبية	12	سلبية
6	سلبية	3	سلبية	7	سلبية
2	سلبية				

المصادر والمراجع العربية

1. إبراهيم، بدر الدين أحمد (ب ت) الغزو الثقافي الفكري وتأثيره على الأسرة، دار السداد للطباعة.

2. أبو الخير، أحمد غنيم، وأبو شعيرة، نور عادل (2018) مستوى الذكاء العاطفي وعلاقته بتحسين أداء مديري المدارس ي المرحلة الأساسية الدنيا التابعة لوكالة الغوث بمنطقة غرب غزة التعليمية، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، 3(2)، 198 -214.

3. الازيرجاوي، فاضل محسن (1991) أسس علم النفس التربوي، مطبعة جامعة الموصل.

4. أسعد، يوسف ميخائيل (1990) الشخصية الناجحة، مطابع نهضة مصر، مصر.

5. الأعسر، صفاء وعلاء الدين كفافي (2000) الذكاء الوجداني، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

6. بياجيه، جان (2004) الابستمولوجيا التكوينية، ترجمة: السيد نفادي، دار التكوين ، دمشق، سوريا، ص 25.

7. جابر، جابر عبد الحميد (2003) الذكاءات المتعددة والفهم تنمية وتعميق، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر

8. الجحني، علي بن فايز (2007) دور التربية في وقاية المجتمع من الانحراف الفكري، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

9. جولمان، دانييل (2000) الذكاء العاطفي، ترجمة ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

10. جولمان، دانييل وريتشارد بوياتزس وآني ماكي (2002) قائد بالفطرة: الذكاء الوجداني ودوائر الفعل والتأثير، سلسلة خلاصات كتب المدير ورجال الأعمال، العدد (227)، القاهرة، مصر.

11. حدة، يوسفي (2015) الشعور بالتماسك النفسي كمورد صحي للوقاية من الضغوط النفسية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، 21، 53-71 .

12. حدة، يوسفي (2018) مشاعر التماسك النفسي كمفهوم جديد: قياس المفهوم، مجلة وحدة البحث في تنمية الموارد البشرية، 9(2) ج1، 173-193.

13. حسانين، عواطف محمد محمد (2012) سيكولوجية التعلم (نظريات- عمليات معرفية- قدرات عقلية) المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 207-.208

14. حسين، محمد حبشي (2003) البناء العاملي لمكونات الذكاء الوجداني لدى عينة من المتفوقين وغير المتفوقين من طلاب التعليم الثانوي العام باستخدام التحليل العاملي التحققي، مجلة البحوث النفسية والتربوية، كلية التربية، جامعة المنوفية، العدد 2، 136-195.

15. حمدان، محمد زياد (1997) نظريات التعلم: تطبيقات علم نفس التعلم في التربية، دار التربية الحديثة، دمشق سوريا، .109

16. الخضر، عثمان حمود (2002) الذكاء الوجداني هل هو مفهوم جديد ؟، بحث منشور في مجلة دراسات نفسية، 12(1)، 5-.45

17. الداهري، صالح حسن (2011) أساسيات علم النفس التربوي ونظريات التعلم، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

18. الداهري، صالح حسن، والكبيسي، وهيب مجيد (1999) علم النفس العام، دار الكندي للنشر والتوزيع، أربد، الأردن.

19. الدردير، عبد المنعم أحمد (2004) دراسات معاصرة في علم النفس المعرفي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، مصر.

20. دويدار، عبد الفتاح محمد (1997) علم النفس التجريبي المعملي أطره النظرية وتجاربه المعملية في الذكاء والقدرات العقلية، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر.

21. الزغّول، عماد عبد الرحيم (2012) مبادئ علم النفس التربوي، ط2، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة.

22. الزغول، رافع النصير وعماد عبد الرحيم الزغول (ب ت) علم النفس المعرفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

23. سيف، ياسر (2001) الذكاء العاطفي رؤية جديدة في شخصية الرئيس مبارك، الإسكندرية، مصر.

24. شحاته، عبد المنعم (2004) من تطبيقات علم النفس، الطبعة الأولى، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
25. الشمري، صاحب أسعد ويس (2019) المناعة الفكرية وعلاقتها ببعض الذكاءات المتعددة وعادات العقل المنتجة لدى طلبة الجامعة، مجلة سر من رأى، 15(61)، 831-872.
26. الشيخ، سليمان الخضري (1990) الفروق الفردية في الذكاء، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
27. عباس، فيصل (1996) الاختبارات النفسية تقنياتها وإجراءاتها، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.
28. عبد الخالق، أحمد محمد وعبد الفتاح محمد دويدار (1999) علم النفس أصوله ومبادئه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
29. العبد الرحمن، غسان، وبلاج، صباح (2005) أساسيات علم المناعة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب.
30. عبد الكريم، ايمان صادق، وسلوم، يسرى حسن (2018) التوازن المعرفي وعلاقته بالمعرفة الضمنية لدى طلبة الجامعة، مجلة مركز البحوث النفسية، العدد 28، 861-906.
31. العتوم، عدنان يوسف (2004) علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 189.
32. عدس، محمد عبد الرحيم (1997) الذكاء من منظور جديد، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
33. عروة، هاشم حسن (1997) علم المناعة، مجلة العلوم والتقنية، 37، 4 – 7.
34. عكاشة، محمود فتحي، (2005) أدوار المعلم في تنمية الذكاء الانفعالي لدى الأطفال الموهوبين، مجلة الدراسات الاجتماعية، 10(20)، 13-73.
35. علام، صلاح الدين محمود (2000) القياس والتقويم التربوي والنفسي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

36. علي، أماني عادل سعد (2019) المناعة النفسية وعلاقتها بعوامل الصمود الأسري المدركة لدى أمهات الأطفال ذوي الإعاقة العقلية القابلين للتعلم، المجلة المصرية للدراسات النفسية، 29(104)، 51-104.

37. العلوان، أحمد (2011) الذكاء الانفعالي وعلاقته بالمهارات الاجتماعية وانماط التعلق لدى طلبة الجامعة في ضوء متغيري التخصص والنوع الاجتماعي للطالب، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، 7(2)، 125-.144.

38. علوان، فادية (2003) مقدمة في علم النفس الارتقائي، الطبعة الأولى، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر.

39. عمارة، بثينة حسنين (2000) العولمة وتحديات العصر، ط 1، دار الأمين، القاهرة، مصر، .96

40. عويضة(1)، كامل محد (1996) علم نفس الإشاعة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

41. عويضة(2)، كامل محد (1996) سيكولوجية العقل البشري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

42. عيسى، جابر محد عبد الله و ربيع عبده أحمد رشوان (2006) الذكاء الوجداني وتأثيره على التوافق والرضا عن الحياة والإنجاز الأكاديمي لدى الأطفال، 12(4)، 45-.130

43. القضاة، محد أحمد (2009) الثقافة كمتغير في الاتصال التفاعلي عبر وسائل الإعلام الجديد، من وقائع المؤتمر الدولي لجامعة البحرين (الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة.. لعالم جديد) 7 – 9 أبريل 2009، 449-472.

44. الكبيسي، عبد الواحد حميد (2018) دور الحصانة الفكرية في مواجهة الصنمية الفكرية من وجهة نظر طلبة جامعة الأنبار، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، 2(4)، 219-.240

45. الكبيسي، وهيب مجيد و صالح حسن الداهري (1999) علم النفس العام، الطبعة الأولى، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن.

46.كنعان، أحمد علي (2008) الأساليب المقترحة لتحصين الشباب العربي ضد التيارات المعادية (دراسة ميدانية على طلبة دبلوم التأهيل التربوي في كلية التربية بجامعة دمشق)، مجلة جامعة دمشق، مج 24، ع 1 + 2، 249-294.

47 . المزروع، ليلى بنت عبد الله (2006) علاقة هوية الأنا بفاعلية الذات والذكاء الوجداني لدى عينة من المراهقات (موهوبات - عاديات) في مكة المكرمة، الإنترنت www.edudeve.org.ps

48.المزروع، ليلى بنت عبد الله (2007) فاعلية الذات وعلاقتها بكل من الدافعية للإنجاز والذكاء الوجداني لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى، 8(4)، 67-89.

49. مسحل، رابعة عبد الناصر محمد (2018) المناعة النفسية وعلاقتها بكل من الكفاءة المهنية والضغوط المهنية لدى العاملين بالجهاز الإداري بالدولة، 22، 1165-.1238

50. معمرية، بشير (2005) الذكاء الوجداني مفهوم جديد في علم النفس، بحث منشور في مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 6، 40-.51

51.المهداوي، عدنان محمود عباس، والدليمي، جمعة نجم عبد الله (2015) أثر برنامج إرشادي في تنمية مقاومة الإغراء لدى طلاب المرحلة الإعدادية، مجلة ديالى، العدد 65، 217-.241

52.المومني، عبد اللطيف عبد الكريم (2008) الذكاء الانفعالي لدى طلبة المرحلة الثانوية في ضوء بعض المتغيرات، مجلة العلوم التربوية والنفسية، 11(1)، 291-.323

53. نفيل، كفاح خلف، وجعدان، إيمان حسن (2019) مشاعر التماسك لدى المعاقين حركياً، مجلة البحوث التربوية والنفسية، 16(61)، 623-647.

54. نوار، شهرزاد، وزكري، نرجس (2019) الشعور بالتماسك النفسي واستراتيجيات مواجهة الضغوط لدى المرضى المصابين بالمرض المزمن، مجلة طريق العلوم التربوية والاجتماعية، 6(6)، 596-619.

المصادر والمراجع الأجنبية

55. Ackerman, J. M., et al (2018)The behavioral immune system: Current concerns and future directions, https://doi.org/10.1111/spc3.12371.

56. Alm, A. K. et al (2015) Sense of Coherence in Persons with Dementia and Their Next of Kin A Mixed-Method Study, Open Journal of Nursing, 5, 490-499.

57. Awa, H. O. & Nwuche, C. A., (2010) Cognitive Consistency in Purchase Behavior: Theoretical & Empirical Analyses, International Journal of Psychological Studies, 2(1), 44-54.

58. Bialek, K., et al (2015) The School of Independent Thinking, Educational Research Institute, Warsaw, 1-11.

59. Bóna, K. (2014) An Exploration of the Psychological Immune System in Hungarian gymnasts. Master's Thesis in Sport and Exercise Psychology. Department of Sport Sciences. University of Jyväskylä.

60. Brosschot JF, Gerin W, Thayer JF (2006) The Perseverative cognition hypothesis: a review of worry, prolonged stress-related physiological activation, and health, J Psychosom Res, 60(2), 113–124.

61. Cardozo, M. O., et al (2019) Models of immunity among college students: their evolution as a result of instruction, Educ. Pesqui, vol 45, e184698, 1-19.

62. Dubey, A. & Shahi, D. (2011) Psychological Immunity and Coping Strategies: A Study on Medical Professionals, Indian Journal of School Science Researches, 8(1), 36-47.

63. Eriksson, M. & Lindstrom, B. (2005) Validity of Antonovsky's sense of coherence scale: A systematic review, Journal of Epidemiol Community Health, 59, 460-466.

64. Escoda, N. P. & Alegre, A. (2016) Does Emotional Intelligence Moderate the Relationship between Satisfaction in Specific Domains and Life Satisfaction?, International Journal of Psychology and Psychological Therapy, 16(2), 131-140.

65. Flensborg-Madsen, T., et al (2006) Sense of Coherence and Physical Health, Testing Antonovsky's Theory, The Scientific World J0urnal, 6 , 2212–2219

66. Fox, R. (2001) Constructivism Examined. Oxford Review of Education, 27: 23-35.

67. Forsberg-Warleby, G. et al (2002) Spouses of First-Ever stroke Victims: Sense of Coherence in the first phase after stroke, Journal of Rehabilitation Medicine, 34, 128-133.

68. Gatt, S. & Vella, Y. (eds.), (2003), Constructivist Teaching in Primary School: Examples in Social Studies, Science, Mathematics, Design and Technology and ICT, Malta: Agenda Publishers, 1-3.

69. Gawronski, B. et al (2012) Bodenhausen, Attitudes and Cognitive Consistency; The Role of Associative and Propositional Processes, new implicit measures. New York: Psychology Press.

70. Gianaros, P. J. etal (2014) An Inflammatory Pathway Links Atherosclerotic Cardiovascular Disease Risk to Neural Activity Evoked by the Cognitive Regulation of Emotion. Biol Psychiatry, 75, 738–745.

71. Goel, D. (2019) Emotional Intelligence Training Workshop and its Impact on Employee Performance: an Empirical Evaluation,

International Journal of Recent Technology and Engineering, 8(4), 647-653.

72. Griffiths, C, A., et al (2011) Thematic analysis of Antonovsky's sense of coherence theory, Scandinavian Journal of Psychology, 52, 168-173.

73. Gupta, M. D., & Frake, C. (2009) Child and Family Development, In Dogra & Leighton (eds.) Nursing in Child and Adolescent Mental Health, England: Open University Press, 19-33.

74. Hamissi, J. et al (2013) The Relationship between Emotional Intelligence and Technology Addiction among University Students, International Journal of Collaborative Research on Internal Medicine & Public Health, 5(5), 310-319.

75. Hardy, A. (2005) The Association between Sense of Coherence, Emotional Intelligence and Health Behavior: A Salutogenic Perspective, Master Theses, Faculty of Humanities, University of Pretoria.

76. Holmefur, M. et al (2014) Measurement properties of the 13-item sense of coherence scale using Rasch analysis, Springer International Publishing, DOI 10.1007/s11136-014-0866-6.

77. Holt-Lunstad J, Smith TB, Layton JB (2010) Social Relationships and Mortality Risk: a Metaanalytic Review, PLoS Med 7(7), 1–20.

78. Kiecolt-Glaser, J. K. & Glaser, R. (1992) Psychoneuroimmunology: Can Psychological Interventions Modulate Immunity?, Journal of Consulting and Clinical Psychology, 60(4), 569-575.

79. Kiss, M. et al (2014) The Relationship Between Intelligence, Emotional Intelligence, Personality Styles and Academic Success, BUSINESS EDUCATION & ACCREDITATION, 6(2), 23-34.

80. Kouicem, K., & Nachoua, K. (2016)Constructivist Theories of Piaget and Vygotsky: General Teaching Implications, THE SECOND NATIONAL CONFERENCE ON LANGUAGE, MIND AND LEARNER'S COGNITIVE CAPACITIES, March, 7th/8th 2016 University of Eloued, 64 – 75.

81. Kruglanski, A. W., (2018) Cognitive Consistency Theory in Social Psychology: A Paradigm Reconsidered, PSYCHOLOGICAL INQUIRY, 29(2), 45-59.

82. Lin, M. et al (2019) Short Form of the Sense of Coherence Scale (SOC-L9) in the US, Germany, and Russia Psychometric Properties and Cross-Cultural Measurement Invariance Test, European Journal of Psychological Assessment (2019), https://doi.org/10.1027/1015-5759/a000561.

83. Lutz, S., & Huitt, W. (2004). Connecting cognitive development and constructivism: Implications from theory for instruction and assessment, Constructivism in the Human Sciences, 9(1), 67-90.

84. Mantas, S. et al (2015) Evaluation of Positive mental health and sense coherence in mental health professionals, Revista Portuguesa de Enfermagem de Saúde Mental, 13, 34-42.

85. Masanotti, G. M, et al (2020) Sense of Coherence in Nurses: A Systematic Review, International Journal of Environmental Research and Public Health, 17, 1861; doi:10.3390/ijerph17061861.

86. Mittelmark, M. B, et al. (eds.) (2017) The Handbook of Salutogenesis, DOI 10.1007/978-3-319-04600-6_12

87. Mohanan, K. P., How Does Education Paralyze Independent Thinking? 7TH INTERNATIONAL CONFERENCE ON THINKING, Singapore, 1 – 6 June 1997.

88. Mortensen, C.R., et al (2010) Infection breeds reticence: The effects of disease salience on self-perceptions of personality and behavioral tendencies. Psychological Science, 21, 440–447.

89. Mowlaie, M. et al (2016) The Relationships of Sense of Coherence and Self-Compassion to Worry: the Mediating Role of Personal Intelligence, Springer Science, DOI 10.1007/s12144-016-9451-1.

90. Paika, V, et al (2017) The Greek Version of the Sense of Coherence Scale (SOC-29): Psychometric Properties and Associations with Mental Illness, Suicidal Risk and Quality of Life. J Psychol Clin Psychiatry 7(4): 00449, DOI: 10.15406/jpcpy.2017.07.00449

91. Rath, M. R. & Vasantha, S. (2017) Emotional Intelligence & Relationship Management in Oragnisational Context, International Journal of Pure and Applied Mathematics, 117(21), 651-661.

92. Reed, G. R. , & Raison, C. L. (2016) Stress and Immune System, In Environmental Influences on the Immune System, 97-126.

93. Sardu, c., et al (2012) Antonovsky's Sense of Coherence Scale: Cultural Validation of Soc Questionnaire and Socio-Demographic Patterns in an Italian Population, Clinical Practice & Epidemiology in Mental Health, 2012, 8, 1-6.

94. Schaller, M. & Park, J. H (2011) The Behavioral Immune System (and Why It Matters), Current Directions in Psychological Science, 20(2), 99-103.

95. Swedberg, R., (2016) Before Theory Comes Theorizing, or, How to Make Social Science More Interesting, British Journal of Sociology, 67(1), 5-22.

96. Von Humboldt , S, & Leal, L (2013) The Promotion of older adults' sense of Coherence through person – centered therapy: A randomized controlled pilot study, Interdisciplinaria, 30(2), 235-251.

97. Zhou, M. & Brown, D.(2015) Educational Learning Theories, 2nd Edition, Education Open Textbooks.

المحتويات

صدر للمؤلف

1. كتاب (الشباب ومستقبل الأمة) مع مجموعة مؤلفين من الوطن العربي والعالم الإسلامي.

2. كتاب (الإعلام ورهان التنمية) مع مجموعة مؤلفين من الوطن العربي.

3. كتاب (دراسة مقارنة في أساليب التفكير لدى الطلبة المتفوقين والمتأخرين دراسياً).

4. كتاب (في الحب والموت وأشياءُ أُخر: قراءة سايكولوجية لأفكار الشباب).

كما للمؤلف عشرات الأبحاث المنشورة في المجلات العربية والعالمية ومنها:

. التوافق الدراسي لدى طلبة الجامعة.

. الذكاء الوجداني وعلاقته بموقع الضبط لدى تدريسيي كلية التربية.

. أسباب تدني مستوى التحصيل الدراسي لدى طلبة المرحلة الثانوية من وجهة نظر المدرسين والمدرسات والطلبة.

. أسباب العنف لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات.

. الاتجاه نحو التدريس وعلاقته بالرضا عن الحياة لدى طلبة كلية التربية.

. مفهوم الذات الجسمية وعلاقته بالاتجاه نحو ممارسة الأنشطة الرياضية.

. مشكلات الشباب الجامعي.

. القلق الاجتماعي وعلاقته بالكفاءة الاجتماعية لدى طلبة المدارس الثانوية.

. ما وراء المعرفة وعلاقتها بأسلوبي التعلم السطحي والعميق "دراسة مقارنة"

. المشكلات الاجتماعية والنفسية والأخلاقية للشباب "دراسة ميدانية"

. اتجاهات طلبة المرحلة الثانوية نحو الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي والمعوقات التي تواجهه.

. العوامل المؤدية للعنف ضد المرأة.

. أغراض الشائعات ومخاطرها وأساليب التعامل معها وعلاقتها بأساليب التفكير.

. سبل رفع الروح المعنوية لدى الفرسان العراقيين.

. تأثير وسائل الإعلام الجديد على الشباب الجامعي.

. معوقات إجراء البحوث في التعليم العالي.

. الحكمة الاختبارية لدى طلبة الدراسات العليا في جامعة سامراء وعلاقتها بالانهماك في التعلم والتوتر النفسي.

. التعلم المنظم ذاتياً وعلاقته بالكفاءة الدراسية والحكمة والمعرفة لدى طلبة جامعة سامراء.

. المناعة الفكرية وعلاقتها ببعض الذكاءات المتعددة وعادات العقل المنتجة لدى طلبة الجامعة.

. التحديات التي تواجه البحث العلمي في العراق "دراسة ميدانية"

.تحديات تفعيل منتديات الشباب في محافظة صلاح الدين.

.المخدرات والجانب النفسي؛ إشكالية التفاعل ونتائجه على المدمن.

. أسلوب تعامل المدرسين والمدرسات مع الفروق الفردية للطلبة وعلاقته بالإجهاد الانفعالي وبلادة المشاعر والرضا عن الإعداد التربوي من وجهة نظرهم.

. University Youths Tendencies toward Peaceful Coexistence and Risks which Faces them " Field Study "

الأستاذ المساعد
صاحب أسعد الشمري

التخصص
علم النفس التربوي



- مواليد بغداد / العراق 1980م.
- تدريسي في كلية التربية / جامعة سامراء – العراق.
- حاصل على لقب أستاذ مساعد في علم النفس التربوي في 2015/1/26.
- مدير شعبة البحث الاجتماعي / جامعة سامراء.
- شَغِل العديد من المناصب الإدارية، وعمل معاوناً للشؤون الإدارية، ومعاوناً للشؤون العلمية.
- رئيس اللجنة العلمية في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة 2015-2017م.
- عضو الرابطة الدولية للباحث العلمي.
- عضو الهيئة العلمية لمجلة تنوير للبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- عضو الهيئة التنسيقية العليا للمحفل العلمي الدولي لمنصة أريد للباحثين الناطقين بالعربية.
- صدر له مؤلفان مشتركان مع مجموعة من الباحثين، وكتابان منفردان.
- له (25) بحثاً منشوراً في المجلات العلمية المحلية والعربية والدولية.
- مشارك في (22) مؤتمراً علمياً دولياً وندوة علمية داخل العراق وخارجه.
- محاضر في (43) دورةً تدريبيةً لحملة الشهادة العليا، وطلبة الدراسات العليا.
- محاضر في (10) ورش عمل في ميدان الاختصاص.
- رئيس وعضو في العشرات من اللجان الجامعية وداخل الكلية ،العلمية منها والإدارية والمالية.

هذا الكتاب

يُعد مفهوم المناعة الفكرية مفهوماً جديداً، يختلف عن المفاهيم المطروحة سابقاً، ويحاول هذا الكتاب التنظير لهذا المفهوم، بصورة تجعله أكثر وضوحاً، وأكثر قابلية للتطبيق العملي، حتى يكون متاحاً بصورة أفضل للباحثين والمهتمين بهذا المجال، ومن باب أنه لا يوجد عمل مكتمل تماماً، فإن هذا التنظير يترك الباب مفتوحاً لكل المختصين لغرض التوسع في هذا المفهوم وتطويره.

إن عملية التنظير لهذا المفهوم، تستند على فكرة أن المناعة الفكرية للفرد، مثل المناعة البيولوجية له، كلاهما وسيلة لتحديد الهوية الفردية، ومنظومة للحفاظ على الذات الفردية من كل ما من شأنه إلحاق الأذى بها، ووقايتها من كل ما يمكن أن يصيبها من عاهات واختلالات، وهي في ذلك لا تخرج عن كونها جزء من المنظومة المعرفية الشاملة للفرد، ومكونات الشخصية الإنسانية.

لقد كان المخطط لهذا الكتاب، أن يظهر في نهاية العام الحالي، أو بداية العام القادم، لكن؛ ومنذ أن تم نشر البحث الذي شهد إبراز هذا المفهوم، تلقيت العشرات من الرسائل من باحثين على امتداد الوطن العربي، يرغبون في الكتابة في هذا المتغير الجديد، لكن يقف حائلاً بينهم وبين ذلك، الاطار المفاهيمي المختصر له، وعدم وجود مصادر إطلاقا تناولته، لذا عزمت على الانتهاء من تأليف هذا الكتاب بأسرع وقت ممكن، ليكون عوناً لهم، ومساعداً على اتمام مهمتهم، لذلك أصبح يتضمن دراسة ميدانية واحدة فقط بدلاً من خمس كما كان مخططاً له، كما تم الاتفاق مع دار النشر على أن يكون متاحاً منذ اللحظة الأولى للنشر على الانترنت مجاناً وبدون أي مقابل.

الترقيم الدولي (ISBN)

978-9922-20-629-5

